يونس وحكايات الشيخ وسيم

عنوان الكتاب : يونس وحكايات الشيخ وسيم
الموضوع : رواية للفتيان
التأليف : عبدالله جدعان
مراجعة لغوية : عمرو سالم سواح
الإخراج الفني : عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف : داليا رشوان #غرّد_للعالم
لوحة الغلاف : منى العمري
الطبعة الأولى : 2018
رقم الإيداع : 2018/ 20048
الترقيم الدوليّ : 978-977-6639-35-5
الناشر : دار تويتة للنشر والتوزيع

tweetpublishing2017@gmail.com

www.facebook.com/Tweetforpublish

٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة

رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز

المدير العام: أ/ رشا العمري

٠١٠١٧٧٩٩٧٩٩/٠١٢٢٥٧٦٢٠٦٦

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رواية للفتيان

يونس وحكايات الشيخ وسيم

عبدالله جدعان

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

(١) رغبة

سأعرفكم بنفسي قبل كل شيء، اسمي (يونس محمد شاكر)، طالب في الصف الثالث الثانوي، مجتهدٌ في دروسي وحريص على دوامي بالمدرسة بشكلٍ منتظم، شغوف بحب القراءة والمطالعة، كثيرًا ما أتناول كتابًا أو قصة من مكتبة أبي الزاخرة بمختلف طبعات القرآن الكريم والسير وقصص الأنبياء والكتب المتنوعة للقراءة في أوقات فراغي أو أيام العطل الرسمية، عذرًا نسيت أن أخبركم بأن أبي مدرس لمادة الفيزياء وأمي حفظها الله معلمة لدرس اللغة العربية، وأسرتي مكونة من أربعة أشخاص، فالرابع أختي براء التي تكبرني بعام، هي طالبة في الصف الرابع الإعدادي.

في يوم جميل من أيام الربيع الجميلة، وقبل صلاة العصر، بينما كنت في الجامع، وقفت أمام رفوف مكتبة الجامع وأخذت أحدق بالنظر إليها علّني أجد كتابًا لم يكن موجودًا في مكتبة أبي، فوقع بصري على أحد الكتب فتناولته وأخذت أتصفحه.

اقترب مني الشيخ وسيم إمام وخطيب الجامع، مهيبا، ذا لحية بيضاء ووجهه يشع نورًا، دون أن أحس بوجوده، ففاجأني قائلًا:

- ماذا تقرأ يا فتى؟

تلعثمت وسكت هنيهه، ثم أجبته دون أن أعرف حتى عنوان الكتاب الذي التقطته من رفوف مكتبة الجامع فاكتفيت بالقول:

- إنه كتاب يا شيخنا.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة فخر وقال:

- ما اسمك؟

- يونس.

التقط الكتاب من يدي وقرأ العنوان بصوت عال:

- (المعجزة الخالدة! لمؤلفه الدكتور محمد علي الصّلابي).

رفعت رأسي نحوه قليلًا وسألته:

- عمّ يتكلم هذا الكتاب يا شيخ؟

أجاب:

- براهين ساطعة وأدلة قاطعة للإعجاز العلمي للقرآن الكريم!

سرعان ما جذب حديث الشيخ وسيم كل من أصدقائي (صباح وشكيب) اللذين كانا يسترقان السمع للحديث الذي دار بيني وبين الشيخ وسيم، كل ذلك جعلهما يسألان الشيخ.

شكيب بلهفة قال:

- لقد سرّنا حديثك كثيرًا عن الكتاب يا شيخ.

أما صباح فقد ازدرد ريقه بصعوبة وقال:

- وأنا كذلك فرحٌ بمضمون هذا الكتاب يا عم.

وأنا قلت له برجاء:

- بودي لو تقرأ وتوضح لنا شيئًا من هذا الكتاب، لنعرف الكثير عن رحيق القرآن الكريم.

كلماتي هذه جعلت الشيخ أن يصمت ويفكر لبرهة من الزمن ثم ابتسم ورد قائلًا:

- حقًّا يا أولاد، بالقراءة الواسعة تتسع المدارك ويتسع الأفق الثقافي والمعرفي للإنسان! لذا غدًا إن شاء الله في خطبة الجمعة سأعلن عن حلقة معرفية لمن يرغب من الفتيان والأطفال بالانضمام إليها.

كم أحسسنا بالسعادة لقول الشيخ وسيم، كان قلبي يفيض فرحًا.

صاح "صباح" دون أن يعي ما يقول:

- شكرًا لك يا شيخنا.

ثم صمت وأخذ ينظر يمينًا ويسارًا.

ذهب الشيخ بعيدًا عنا وهو يخفي ضحكة خفيفة بداخله يهز رأسه.

أذن الحاج مرعي لإقامة صلاة العصر، وبعد أن انتهينا من الصلاة خرجنا مسرعين من المسجد، كلٌّ يهرول إلى بيته وهو ينتظر مجيء عصر اليوم التالي لمعرفة عما يخفيه هذا الكتاب من معلومات عن براعة الخالق البارئ الله سبحانه وتعالى.

(٢) حديث الجمعة

كان يوم الجمعة بالنسبة لنا يحمل طابعا خاصا في نفوسنا مثل باقي نفوس كل المسلمين في كل بقاع العالم، منذ الصباح الباكر قد عودتنا أمي أن نستيقظ باكرين، وبعد أن نتناول طعام الإفطار، كل واحد منا يستحم وبعدها يقْرأ ما تيسر له من آيات القرآن الكريم، وقبل أن أسمع صوت الآذان، قمت أنا وأبي لكي نتوضأ، أما أمي وأختي "براء" فهما تعدان لنا طعام غداء الجمعة، فهو بالتأكيد يا أصدقائي يختلف عن غداء باقي أيام الأسبوع! كيف؟ حسنًا سأجيبكم:

- بما أن أمي معلّمة، ليس لها الوقت الكافي كي تطهو لنا كل يوم غداء طازجا، لذا تعوض لنا هذا الشيء في طعام غداء يوم الجمعة، كأن يكون {دولمة، برياني، كبة برغل، دجاج محشى بالرز والمكسرات}، وما إن يحين آذان الظهر تقوم أختي براء لتصلي مع أمّي صلاة الظهر.

ذهبت بصحبة أبي للمسجد الذي يقع في نهاية الزقاق فهو ليس بعيدا عن منزلنا، وإمام وخطيب المسجد شيخ ينتظر المصلين بفارغ الصبر لسماع خطبته السهلة الواضحة المفهومة من قبل الصغير والكبير، المملوءة بالمواعظ والحكايات التي يستند بها إلى كلام الله والسنة النبوية الشريفة، أنا وشكيب وصباح كنا ننتظر بفارغ الصبر متلهفين أن يعلن عن إقامة الحلقة المعرفية التي وعدنا بها عصر البارحة، وقبل أن ينتهي من إلقاء خطبته، قال بوجه بشوش:

- أما بعد، فكلامي هذا موجه للأطفال والفتيان، اليوم عصرا وكل يوم إن شاء الله سأقيم حلقةً معرفية! لمن يرغب منهم للحضور في المسجد

للاستماع والمشاركة في المواضيع التي سنتكلم فيها.

وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة، عدنا إلى البيت، نجد أمي وبراء قد أعدتا لنا مأدبة طعام الغداء، نجلس على الأرض نأكل بشهية تامة، ثم بعدها نشرب الشاي المطعم بطعم الهيل، تناولت أمي هاتفها النقال وأخذت تكتب رسالة:

- اللهم في هذا اليوم المبارك اجعل لأعز الناس عندي يوما مباركا فيه الدعوة لا ترد وهبها رزقا لا يعد.

براء سألتها:

- لمن تكتبين هذه الرسالة يا أمي؟

- أكتبها ثم أرسلها للست محاسن، لأنها البارحة لم تأت إلى المدرسة بسبب وعكة صحية ألمت بها.

ابتسم أبي، وهو الآخر تناول هاتفه النقال، كأن أمي ذكرته بأن يكتب رسالة، وراح يكتب رسالة طويلة بعض الشيء، وأنا أسترق النظر إلى العبارات التي صاغها في الرسالة:

(لنا أحباب لا يسكنون بقربنا ولكن يسكنون بقلوبنا، يظل شذى ذكراهم يعطر قلوبنا وكلما نبضت ينابيع المودة في حياتنا تدفن ينبوع مودتهم سلسبيلا يروي جفاف قلوبنا فاحفظهم يا ربنا وفي جناتك بهم اجمعنا).

هنا سألته:

- لمن هذه الرسالة يا أبي؟

- لي صديق اسمه[عبد الرضا حسين عون] هو يسكن في البصرة، كنا معا طلابا وأصدقاء في الجامعة، منذ أن تخرجنا، أي قبل حوالي ثلاثين عاما، انقطعت الأخبار فيما بيننا، لكنها قبل أيام عادت، وهذا كله بفضل شبكة المعلومات وصفْحة التواصل الاجتماعي [الفيس بوك]، كانت فرحتي عظيمة وأنا أشاهد صورته بعد كل هذه السنين الطويلة وقد شاب شعر رأسه، والآن بين فترة وأخرى صرنا نتبادل حكايات الماضي ومفارقات ومشاكسات بعضنا للبعض في الكلية، كما نتبادل الصور القديمة والحديثة.

- لمَ لا ترسل له رسالة عن طريق شبكة المعلومات؟

قلت لأبي.

أجابني:

- لأن ذلك يأخذ وقتا، وربما هو لا يجلس أمام الحاسوب، ربما يكون خارج المنزل، كل هذه الأسباب جعلتني أن أرسل له رسالة الجمعة عن طريق الهاتف النقال يا يونس.

هززت رأسي بالإيجاب، وذهبت للحمام كي أتوضأ وأتهيأ للذهاب إلى المسجد عند سماع صوت أذان العصر، الذي تعودنا على سماعه بصوت الحاج مرعي، ولا أخفيكم سرا أنني متلهف للذهاب إلى المسجد لكي أنضم إلى الحلقة الدراسية وأسمع حكاية من الشيخ وسيم.

(٣) أولى الحكايات

ما هي إلا لحظات وإذ يسمع صوت المؤذن الحاج مرعي وهو يؤذن آذان العصر، خرجت من البيت مسرعا، سرت لمسافة عدة أمتار فوجدت صديقي شوكت يقف بانتظاري للذهاب سويًّا إلى المسجد، هو الآخر متلهف لسماع حديث الشيخ وسيم، دخلنا المسجد وصلينا ركعتين لوجه الله تعالى، وجلسنا خاشعين ننتظر إقامة الصلاة، وصلى بنا الشيخ وسيم، وبعد أن انتهت الصلاة، خرج المصلون الكبار ولم يبق إلا الشيخ وعددٌ ليس بالقليل من فتيان بعمري وأطفال، للانضمام في الحلقة المعرفية، ولسماع أولى الحكايات التي سيحكيها لنا، فكان لقاؤنا الأول به مغمورا بالشوق والمسرة لمعرفة ما سيتحدث به إلينا، استوى بجلسته على الكرسي وراح يجول ببصره نحو الجميع، كأنه يريد من ذلك معرفة عدد المنضمين لهذه الحلقة المعرفية، وقال:

- اسمعوا يا أولادي، البحث والتساؤل والتخيل والتفكير ينشط العقل والفكر لأنه سيتعرف على أشياء جديدة ومعرفة أسرار الكون والطبيعة وغيرها من العلوم التي ثبت بأنها إعجاز علمي من كتاب القرآن الكريم!

صاح أحد الجالسين من الفتية بصوت عال، دون استئذان بالكلام، وعلى ما أظن أن اسمه صفوان وهو طالب في الصف الثالث متوسط، لكن في الشعبة جيم وهو عجول ملحاح، كثير الكلام، وقال:

- يا شيخ، ما المقصود بالمعجزة؟

انفرجت شفتا الشيخ وسيم عن ابتسامة عريضة وهو يتفرس الفتى صفوان:

- إن أول آداب الحديث يا بني ألا يكون الصوت مرتفعا، لأنه يؤذي الآذان، ولا منخفضًا يوجب إعادة الكلام، كما عليكم ألا تدخلوا بين متحدثين في موضوع لا يعنيكم.

أطرق صفوان برأسه للأسفل خجلًا يصغي لكلام الشيخ، وأردف الشيخ قائلًا:

- أما الاستماع فإن آدابه هو أن ننتظر من المتحدث حتى يفرغ من حديثه وألا تبادروا في الرد عليه حتى ينهي الموضوع الذي يتحدث عنه كما يجب علينا ألا نجيب على سؤال موجه لغيرنا!

رد صفوان بصوت منخفض:

- شكرًا على نصيحتك لي.

- لا شكر على النصيحة، من واجب كل مسلم أو كبير بأن ينصح الآخر بالاتجاه الصحيح، وأن يتجنب فعل الخطأ وتعلم فعل الخير، ما اسمك؟

- صفوان.

- حسنًا يا صفوان، أرجو منك ألا تزعل من كلامي، لأننا في أول يوم من أيام الحلقة المعرفية، كما أنني لم أبدأ بالكلام، وها أنت تسألني!

قلت:

- هل السؤال ممنوع يا شيخ؟

- بالعكس يا يونس. أسئلتكم تزيدني فرحًا وسرورًا. وهذا هدف وجودكم معي، وسوف أعود للإجابة على سؤال صفوان، المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم المعارضة، يظهره الله على يد رسله، فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات.

قلت:

- وما هو الإعجاز العلمي في القرآن؟

- هو أثبت بالبراهين والأدلة والآيات القرآنية لإقناع الناس بعظمة الدين الإسلامي وروعة القرآن، وتنوير العقول وتطهير النفوس بالاعتماد على العقل والمنطق والحجة، ليعرفوا أنه لا إله غيره، ولا مدبر غيره، ولا

رزاق غيره، ولا مهيمن غيره، فيعبدوه وحده بلا شريك ويتبعوا ما أنزل إليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣

وفي عصرنا الحديث هذا الذي اتسعت فيه دائرة العلوم وانكشفت فيه كثير من أسرار الكون، تبيّن للناس حقائق كثيرة تتعلق بالإشارات القرآنية لم تكن معلومة من قبل، والقرآن غني بدلائل الإعجاز الذي تحدى الله به البشر جميعًا، والبلغاء في أولهم، فعجزوا عن الإتيان بمثله.

قلت مبتسمًا واثقًا من نفسي:

- كيف؟

أجابني بعذوبة كأنه أب حنون:

- إن الله ﷻ ميز القرآن الكريم الذي يحمل كلمته الأخيرة للبشرية كافة بخصائص لا توجد في غيره، فقد كانت الرسالات السابقة محدودة بأقوام معينين ومحدودة بزمن معين ينتهي بإرسال رسول جديد، بينما هذه الرسالة للبشر كافة، وللزمن كله من مبعث رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكانت الكتب المنزلة السابقة تحوي احتياجات الأقوام

الذين تنزل عليهم في الزمن المحدد في علم الله، أما القرآن فقد أنزل الله فيه ما تحتاج إليه البشرية كلها.

شكيب هو الآخر سأل:

- أفهم من كلامك يا شيخ بأنه إعجاز علمي؟

- أجل يا ولدي مثلما تقول.

توقف الشيخ وسيم وقال:

- وفي الغد إن شاء الله نكمل الحديث.

(٤) الدورات التكونية

كانت تأخذنا السعادة ونحن نصغي متلهفين لسماع حديث الشيخ وسيم.

نهض شكيب من مكانه ليسأل:

- هل لنا أن نعرف شيئًا عن خلق الأرض؟.. بدء التكوين؟ يا شيخ.

- سؤال جيد يا فتى.

قال الشيخ لشكيب هذه الكلمات، ثم تناول الكتاب وقرأ منه شيئًا قائلًا:

- جاء ذكر الأرض في أربعمائة وواحد وستين موضعًا في كتاب الله منها ما يشير إلى الأرض ككل في مقابلة السماء، ومنها ما يشير إلى اليابسة التي نحيا عليها، أو إلى جزء منها، ومنها ما يشير إلى التربة تغطي صخور الغلاف الصخري للأرض، واليابسة هي جزء من الغلاف الصخري للأرض وهي كتل القارات السبع المعروفة والجزر المحيطة العديدة، ومن الآيات التي تحدثت عن الأرض :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الذاريات: ٢٠

هذا الكوكب المعد للحياة، المجهز لاستقبالنا، هذا الكون الهائل، الحافل بالنجوم الثوابت والكواكب السيارة، كما قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ فصلت: ٩

أي أنه خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١

ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، مرحلة (الفتق)، فتحول إلى سحابة من الدخان (مرحلة الدخان) خلقت منه الأرض والسماوات (مرحلة الايتان).

وإن الكون منذ لحظة انفجاره ظل في توسع مستمر، وهذا التوسع سوف يتوقف في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله بأمر منه تعالى، فيبدأ الكون في الانطواء على ذاته والتكدس في جرم واحد كهيئة الجرم الابتدائي الأول الذي بدأ منه خلق السموات والأرض فتتكرر عملية الانفجار والتحول إلى دخان الذي تتخلف منه أرض غير أرضنا الحالية! وسماوات

غير السماوات التي تظللنا في الحياة الدنيا وهنا تنتهي رحلة الحياة الدنيا وتبدأ رحلة الآخرة، وهذه كلها حقائق قرآنية وما يشهد للقرآن بأنه لا يمكن أن يكون إلا كلام الخالق، في قوله:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ الرعد: ٤١

وأنا أصغي بكل اهتمام لحديث الشيخ وسيم قلت:

- ما الدلالة العلمية في (الأرض ننقصها) يا شيخ؟

أجابني:

- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة، ربما بمعنى آخر ألا هو التصحر! أي زحف الصحاري على مساحات كبيرة من الأرض الخضراء بسبب ندرة المياه ونتيجة لموجات الجفاف وللجور على مخزون المياه تحت سطح الأرض وبسبب الرعي الجائر، واقتلاع الأشجار، وتحويل الأراضي الزراعية إلى أرض للبناء، مما أدى إلى تلمح التربة وتعريتها بمعدلات سريعة تفوق بكثير محاولات استصلاح بعض الأراضي الصحراوية، أضف إلى ذلك التلوث البيئي، مما يجعل العالم يواجه أزمة حقيقية تتمثل في انكماش المساحات المزروعة سنويًا، وهذا يمثل صورة من صور خراب الأرض بإنقاصها من أطرافها.

في الآيات الكريمة إشارة إلى ثلاث حقائق كونية يا أعزائي وهي:

- خلق الأرض وتقدير الأقوات في أربعة أيام قبل السماء.

- أصل الكون المادي من الدخان.

- الدورات التكوينية للأرض والسماء ومجموعها ستة أيام.

سمع صوت أذان المغرب بصوت الحاج مرعي مؤذن المسجد.

مرت الساعات كأنها ثوان، نهض الشيخ وسيم قائلًا:

- وبهذا نكون قد انتهينا من حكاية اليوم عن خلق الكون، وموعدنا في عصر يوم غد إن شاء الله، هيا لنقوم للوضوء ثم نصلي صلاة المغرب.

نهضنا جميعا إلى مكان الوضوء وكلنا يشعر بسعادة لم يذقها من قبل.

في هذه الأثناء توافد المصلون كبارًا وشيوخًا مسنين ومن بينهم كان أبي، واقتربت منه في باب المصلى بعد أن انتهيت من الوضوء فسألني قائلًا:

- ها كيف كانت أحاديث الشيخ وسيم يا يونس؟

أجبته بتباهٍ وتفاخر:

- حديث قيّم لم نسمع به من قبل.

تعجب أبي من إجابتي فكرر على مسامعي سؤالا آخر:

- عماذا تحدث لكم؟

في هذه الأثناء سمع صوت الحاج مرعي وهو يقيم الصلاة، عندها توقفت عن الكلام، فقال لي أبي:

- الصلاة قائمة يا ولدي، نكمل حديثنا في البيت إن شاء الله.

(٥) الخبر

في صباح اليوم التالي، انتشر خبر الحلقة المعرفية للشيخ وسيم، التي تبعث في النفوس الحيوية والنشاط، بعد معرفة حكايات عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، بين فتيان محلتنا والمحلة المجاورة، وبين تلاميذ المدرسة مثل الريح، وأثناء فترة الاستراحة ما بين الحصة الرابعة والخامسة الأخيرة، التف من حولي عدد من التلاميذ وفي عيونهم سؤال وسؤال، فقال لي أحدهم:

- هل يمكنني الانضمام للحقلة المعرفية يا يونس؟

أجبته بكلمة نعم.

وقال آخر متلهفًا:

- كم أنا متشوق لسماع حكايات الشيخ وسيم مثلكم.

وأضفت لهم قائلًا

- ليس هناك أحب إلى قلب الشيخ من انضمامكم للحلقة المعرفية.

في هذه الأثناء انضم إلينا كل من صباح وشكيب اللذين أخذا يتحدثان عن حكاية الأرض والتكوين، وهذا مما زاد في قلوبهم رغبة وشوقا أكثر.

رن جرس المدرسة ليعلن عن انتهاء الاستراحة الأخيرة، والدخول للصفوف، وقبل أن نفترق، هتفت بهم جميعا:

-حسنًا يا زملاء، يا أصدقاء، سيكون لنا لقاء اليوم بعد صلاة العصر أمام باب قاعة الدروس في المسجد.

دق جرس المدرسة ليعلن عن انتهاء الدرس الخامس، وبعدها كل واحد عاد إلى بيته ليبدل ثيابه ويغتسل ويتناول طعام الغداء وإن تبقى له من

الوقت أن يقوم بتحضير واجباته لحين سماع آذان العصر، وما أن سمع الأذان، أخذ يتوافد عدد من الزملاء الطلاب ممن معي في المدرسة، وآخرون من فتيان وأطفال المحلة الجدد إلى المسجد، وبعد الانتهاء من صلاة العصر، تجمع الكل أمام باب قاعة الدروس، وكلنا شوق ننتظر قدوم الشيخ وسيم، إلى أن جاء وفتح لنا باب القاعة بوجه بشوش، ثم دخلنا وجلسنا بداخلها، كان شعور الشيخ وسيم ممزوجًا بين الدهشة والفرح وذلك لازدياد عدد الدراسين لهذا اليوم، لأن عدد الحضور أكثر من اليوم الذي سبقه، وما هي إلا دقائق حتى قال الشيخ:

- جميل جدا أن أتفاجأ بوجود وجوه جديدة من فتيان مسلمين ممن يحبون الاستماع إلى أحاديثي التي ستدخل إلى قلوبهم المسرة، أهلا بكم.. بسم الله الرحمن الرحيم، نكمل ما تحدثنا به البارحة، عن حكاية الأرض وبدء التكوين، وسأحدثكم اليوم عن كروية الأرض ودورانها!... يشير القرآن الكريم في بعض آياته إلى أن الأرض كروية الشكل، فهي بذلك ليست في حقيقتها ممتدة امتدادًا ينتهي عند حافة من الحواف كما يتصور الأقدمون ويعتقدون، ولكن الأرض ذات شكل بيضوي كالكرة وذلك ما تقتضيه سنة الطبيعة الرتيبة المنتظمة، وما تقتضيه عجلة الكون المتحرك الدقيق، ولو لم تكن الأرض على هذا النحو من الاستدارة لتعطلت نواميس الخلق على هذا الكوكب، ولباتت الحياة على ظهره مشلولة أو مستحيلة، ومن الآيات الدالة على كروية الأرض قوله سبحانه تعالى:

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ يس: ٤٠

ومن الدليل كذلك على كروية الأرض قوله تعالى:

﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ الزمر: ٥

كلام الشيخ دفعني للسؤال:

- يكوّر بمعنى يلف يا شيخنا؟

هز رأسه بالإيجاب وأردف قائلًا:

- ومن التكوير، نقول كار الرجل العمامة كورًا بمعنى أدارها على رأسه، وكذلك كقوله تعالى:

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ التكوير: ١، يعني طويت كطي السجل!

أشواق ضجت بنفوس المستمعين من الفتيان والأطفال دون أن يتسرب الملل أو الكلل إلى قلوبهم، لا أحد منهم يفتح فمه بكلمة، لكن الشيء المفرح بالموضوع هو أنه سرعان ما نشأت الألفة بيننا وبين الشيخ.

أما عن جاذبية الأرض، لم يكن معروفًا أبدًا في زمان النبي محمد ﷺ لا من قبل العرب ولا من قبل غيرهم من الأمم السالفة، استوقفت الشيخ لأقول له ما يجول في داخلي:

- لكننا قرأنا في الكتب المنهجية العلمية بأن هناك عالم غربي اسمه (نيوتن) هو من اكتشف قانون جاذبية الأرض، أليس صحيحًا؟

سؤالي هذا سرعان ما لقى الجواب من قبل الشيخ، الذي رد قائلًا:

- أحسنت أيها الفتى يونس.. إن معنى الجاذبية العلمي لم يكتشف إلا منذ أمد قريب على يد العالم الشهير (نيوتن) في القرن الثامن عشر الميلادي، وبالإشارة إلى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ المرسلات: ٢٥ - ٢٦

أيقنا بأنها لم تكن أبدا من الممكن أن تكون من قبل البشر، لأنها قيلت في الزمن الذي لم يكن الإنسان يعرف فيه شيئا عن معناها، إذن فهي من قول المطلع على الأسرار، العالم بالخفايا، والراسم للقوانين إنها من قول الله، معجزة قرآنية باقية على مر الزمن لتدل الإنسان على أن هذا القرآن من عند الله.

صباح سأل قائلًا:

- صحيح بأن الجبال هي أوتاد للأرض؟

رد الشيخ بوجه البشوش دوما، وبعد أن أحس بأننا نتفاعل ونتساءل عما يجول في عقولنا، لأننا لم نكن فقط مستمعين بل نتساءل حتى إن وردت كلمة في كتاب القرآن الكريم لم نسمعها من قبل، ثم أكمل كلامه قائلًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ النبأ: ٦ - ٧

إذ وجد أن الجبل ليس هو الجزء الظاهر منه فوق سطح الأرض فقط، بل إنه مغروس كالوتد في باطن الأرض، وأن الجزء المغروس منه مدبب كالوتد، ليثبت الجبل مكانه، وأنه لولا جذر الوتد المغروس في باطن الأرض ما ثبت الجبل مكانه. والجبال أوتاد بالنسبة لسطح الأرض، فكما يختفي معظم الوتد في الأرض للتثبيت، كذلك يختفي معظم الجبل في الأرض لتثبيت قشرة الأرض، وهناك حقيقة وهي التي خلق الجبال من أجلها!... وهي ترسية الأرض ومنعها أن تميد بالناس، فهي بجذور أوتادها

المغروسة في باطن الأرض تحفظ توازن الأرض، وتجعلها مستقرة يستطيع البشر أن يعيشوا فوقها، وينشطوا نشاطهم ويبنوا ما يبنونه من منازل ومنشآت، ولولاها لظلت الأرض تميد بالناس، وترتج بهم ذات اليمين وذات اليسار.

رن الهاتف النقال الخاص بالشيخ وسيم، الذي كان قد وضعه إلى جانبه فوق المنضدة وتناوله، بعد أن رسم ابتسامته المعهودة على وجهه، أسرع قائلًا:

- نعم، أهلًا بك يا حسان، أنا موجود في قاعة الدروس، أجل بداخل المسجد.

دخل القاعة شاب في مقتبل العمر، كانت ملامح الذكاء والتباهي مرتسمة على وجهه، يحمل بيده رزمة من الأوراق والكتب والملازم، ثم حيانا بتحية الإسلام، فرد عليه الشيخ وسيم ونحن من ورائه، ثم جلس إلى مقربة من الشيخ، رحّب به الشيخ مرة ثانية وقال له:

- كيف حالك يا حسان؟

- بخير والحمد لله.

- قل ما حاجتك؟

- جئت طلبًا للمساعدة، لأنني الآن أتهيأ للبحث عن مصادر لغرض نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية.

رد الشيخ عليه بوجه بشوش:

- ليس هناك أحب إلى قلبي من تقديم المساعدة إلى أي شخصٍ يطلبها مني.

امتلأ قلب الشاب حسان بالسعادة فقال:

- آه! يا له من شرف لي! سأكون شاكرًا لك يا شيخنا.

- ما هو موضوع رسالتك يا حسان؟

- الظواهر الطبيعية في الإعجاز القرآني.

- جيد، يا سبحان الله، إنك شاب محظوظ!

استغرب حسان من قول الشيخ وتساءل ببطء:

- لماذا يا شيخ؟

- لأن هذا الكتاب الذي بيدي، يتضمن ما تريد أن تقوله في رسالتك.

شعّت عينا حسان بالفرح والسرور وقال غير مصدق:

- يا لها من ساعة مباركة!.. فعلًا كما قلت، إنني محظوظ.

أنا وبقية الفتية والأطفال، أخذنا ننظر لبعضنا البعض، لأن كلامه أثار في نفوسنا مجموعة من التساؤلات! وأنا تساءلت في نفسي:(هل ستكون هذه آخر حكاية نسمعها من الشيخ وسيم من الكتاب؟! أم أنه سيتحدث لنا من كتاب آخر؟)، لكن الشيخ وسيم بدد تساؤلاتي حينما قال:

- إذا أردت أن تبحث عما تريده من الكتاب، فعليك إعادته بعد صلاة عصر الغد.

استغرب الشاب حسان من كلام الشيخ وسأله مرةً ثانيةً:

- عفوًا يا شيخ، لم أفهم قصدك؟

رد عليه الشيخ وسيم:

- لأنني قد وعدت الفتى يونس ومن معه من الفتية والأطفال المسلمين الصالحين، بأن أقرأ وأحكي لهم كل يوم حكاية عن معجزة من معجزات

الخالق سبحانه وتعالى، واليوم اخترت موضوعًا من هذا الكتاب، وغيره من الكتب في الأيام القادمات.

ارتبك حسان وقال:

- هذا من دواعي سروري أن أكون من ضمنهم مستمعا، حتى أقوم بتدوين ما يلزمني من معلومات في دفتر الملاحظات.

نهضت من مكاني كأن نارًا لسعتني:

- بارك الله فيك يا أخي.

استغرب الشيخ وسيم وحسان وكل الجالسين من فتيه وأطفال، ضحك الشيخ وسيم وأخذ يقهقه مما حدى بحسان أن يضحك من بعده والجميع كذلك أخذوا يضحكون من ورائه، ثم نهض الشيخ وسيم وقد اغرورقت عيناه من شدة الضحك فقال لنا:

- حسنًا، هيا إلى بيوتكم لمتابعة وتحضير واجباتكم المدرسية، وفي الغد إن شاء الله في نفس الوقت سأقرأ لكم حكاية خلق أخرى من مخلوقات الباري الله تبارك وتعالى.

هبط المساء واقترب حلول الليل، وبعد أن تناولنا طعام العشاء، فدار حديث بيني وبين أبي عن الموضوع الذي حدثنا به الشيخ وسيم، بينما كانت أختي "براء" منهمكة في تحضير واجباتها المدرسية، وأمي كونها معلمة جلست في زاوية ليست بعيدة عنا وتكدست أمامها مجموعة من الأوراق الامتحانية للتلميذات ووضعت نظاراتها الطبية لتقوم بتقييم الإجابات الصحيحة ووضع الدرجات عليها.

(٦) كل ما علاك فأظلك

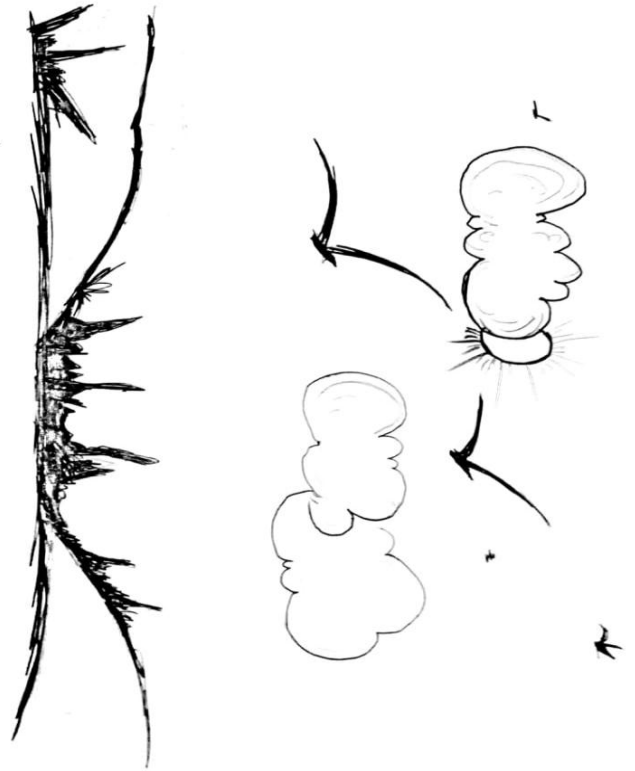

تجمعنا في قاعة الدرس ننتظر دخول الشيخ وسيم ليحكي لنا حكاية جديدة من حكايات الإعجاز، وبعد لحظات جاء الشيخ وجلس في مكانه المعتاد دون أن يتفوه ولو بكلمة واحدة! هذا ما دعانا أن نستغرب، وجدت لساني يقول:

- ما هو موضوع اليوم يا شيخنا؟

اكتفى الشيخ بابتسامة ثم صمت لبرهة من الزمن وأجابني قائلا:

- البارحة أعطيت وعدا للشاب حسان بأن يكون جليسا ومستمعا مثلكم، لكن كما يقال الغائب عذره معه.

صفوان العجول دوما تساءل:

- وإذا لم يأت صفوان؟

- ننتظر قليلًا حتى يأتي، لأنني على الموعد، وإذا وعدنا صديقا، مثلا للذهاب إلى المكتبة العامة أو المتنزه، ثم أخلفنا موعدنا معه فإننا نصبح مدينين له، وإذا ذهبت إلى صديقك وقضيت ساعتين معه في اللهو والفراغ فإنك قد أخذت منه وقتا ثمينا يستعمله للدراسة ولهذا فأنت مدين له، وإذا تذكرت صديقا يوما ودعاك إلى زيارته لتتناول الشاي والكعك عصرا فأنت مدين له بزيارة مثلها أو أحسن منها، والديون كثيرة وتتراكم يومًا بعد يوم، فكل عمل جميل يقدمه الأخرون لنا يجب أن نرد عليه بمثله وما أسعد الإنسان الذي يسارع للوفاء بديونه.

ما أن انتهى الشيخ وسيم من إعطاء النصيحة عن الوفاء بالموعد بين الأصدقاء، دخل علينا الشاب حسان مرتبكا، ألقى التحية علينا جميعا وقال بكلام فيه لهجة الاعتذار:

- إنني أستميحك العذر يا شيخ.. تأخرت بسبب زحمة المواصلات.

رد عليه الشيخ:

- بل قدم اعتذارك للفتية والأطفال الذين كانوا ينتظرون قدومك لنبدأ بحكاية اليوم.

التفت حسان إلينا وقال:

- اعذروني يا أحبتي لم يكن بمقدوري أن أصل للقاعة قبل هذا الوقت.

رد عليه الجميع بصوت واحد:

- نقبل اعتذارك يا أخ.

-على بركة الله نبدأ حكايتنا لهذا اليوم -قالها الشيخ وسيم- وهي عن (كل ما علاك فأظلك) أي السماء!.. تشير الآية الكريمة:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الذاريات: ٤٧ إلى عدد من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة لأحد من الخلق وقت نزول القرآن الكريم.

إن السماء بناء محكم التشييد، دقيق التماسك والترابط، وليست فراغًا كما يعتقد البعض إلى عهد قريب، وأن المجالات المغناطيسية تنتشر بين كل أجرام السماء لترتبط بينها في بناء محكم التشييد.

في السماء الدنيا مائتا بليون مجرة على أقل تقدير، بعضها أكبر كثيرًا من مجرتنا (درب التبانة) وبعضها أصغر قليلًا منها وتتراوح أعداد النجوم في المجرات بين المليون، والعشرة ملايين، وملايين الملايين، وتمر هذه النجوم في مراحل من النمو مختلفة (من الميلاد إلى الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة ثم الوفاة).

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الرعد: ٢ – ٣.

انهالت عليه الأسئلة من الفتيان والأطفال، فكنت البادئ بالسؤال:

- يقول الله تعالى " ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ " كيف؟

- الحقيقة الواردة في الآيتين في(الرعد)و(لقمان) حول السماء هو ذكر العمد، وذكر المفسرون تقسيمين للآيات، فمنهم أثبت أن للسماوات أعمدة إلا أنها لا ترى!

صباح هو الآخر قال:

- إنني أسأل في نفسي السؤال يا شيخ.

أكمل الشيخ كلامه.. معنى الآية (الله الذي رفع السموات بغير عمد مرئية) وذلك بجعل جملة (ترونها صفة العمد) يعود إلى عمد، ومنهم من ذهب إلى أنه ليس للسموات عمد أصلا!

ارتسمت الدهشة على وجوه الجميع وهم يصغون لكلام الشيخ، فكرروا على مسامعه نفس الكلام:

- كيف يا شيخنا؟

فاضت عينا الشيخ فرحا، ورد على سؤال الجميع بزهو:

- بمعنى أن الله الذي رفع السموات كما ترونها، بغير عمد، وهي قدرة الخالق تبارك وتعالى يا أعزائي.

صباح سأل من فوره:

- ماذا يحدث للإنسان عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء؟

- أحسنت.. على ما يبدو أنك فتى ذكي، لأنك تسأل هذا السؤال.

ارتسمت علامات الرضا على وجهه، ثم وضع الشيخ وسيم سبابته على خده ثم حك لحيته البيضاء المليئة بالشيب الشبيه بوفر الثلج النقي، كنقاء روحه وقلبه الطيب المتواضع ثم قال:

- إن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء تحدث له أعراض عضوية، تتدرج من الشعور بالضيق الذي يتركز في منطقة الصدر حتى يصل إلى المرحلة الحرجة.

سأل آخر من أحد الفتية:

- وهل ذكر في القرآن الكريم هذا الخطر المحدق بالإنسان يا شيخنا؟

- أجل، يقول الله تعالى: ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥، وذلك أنه كلما استمر في الارتفاع انخفض الضغط الجوي، ونقص الأوكسجين، إن الإنسان إذا ارتفع عن مستوى سطح البحر إلى عشرة آلاف قدم لا يشعر بشيء من أعراض نقص الأوكسجين، وخفض الضغط، أما إذا تجاوز عشرة آلاف قدم، فإننا نجد عندئذ ما زوّد الله به الجسم من أجهزة تتكيف مع هذا التبدل في الضغط، وفي نقص الأوكسجين، فإذا بقي في هذا المكان بين عشرة آلاف قدم، يزداد نبض قلبه، وجيب رئتيه، ويرتفع ضغطه من أجل أن توفر هذه الأجهزة للجسم حاجتها من الأوكسجين، أما إذا تجاوز الإنسان ستة عشر ألف قدم إلى خمسة وعشرين فإن أجهزة الجسم عندئذ لا تقوم بغرضها في هذا الارتفاع المفاجئ! فما الذي يحصل يا أولاد؟

طرح الشيخ سؤالًا أربك الجميع ومن ضمنهم أنا أيضًا.

ساد الصمت بيننا، ارتسمت علامات التعجب الممزوجة بالارتباك وذلك لعدم معرفة أي واحد منا على الإجابة للسؤال الذي طرحه علينا الشيخ.

ربما الشاب حسان هو الآخر لا يعرف الإجابة الصحيحة، أو يعرفها لكنه منشغل بتدوين بعض من الملاحظات في دفتره.

وبعد أن تيقن الشيخ بأن الجميع لا يعرف الإجابة الصحيحة على سؤاله، قال:

- حسنًا سأجيبكم على السؤال، أنه يفقد الوعي عندئذ تماما!

شهق الجميع من شدة المفاجأة، كبر سؤال في رأسي لأطرحه على الشيخ، لكن القسم الأكبر من المستمعين قدموا شكرهم له. رد عليهم بالقول:

- علام تشكرونني يا أولاد؟ ليس أحب إلى قلبي من أسئلتكم التي هي بالنسبة لي مثل الورود وتلك المعلومات التي أحكيها لكم هي بمثابة الماء الذي يروي تلك الورود لتتفتح.

تساءلت في نفسي: الذي يركب الطائرة وهي بالطبقات العليا بماذا سيشعر؟! فكررت هذا السؤال على مسمع الشيخ الذي بدوره أجابني:

- حينما يركب الإنسان الطائرة لا يشعر بشيء من تلك الأعراض الذي سبق وأن نوهت عنها، لأن أجهزة الطائرة قد ضغطت الهواء ثمانية أمثال ليكون الضغط الجوي ونسبة الأوكسجين موافقة لما هي عليه من سطح الأرض، فلو تعطلت أجهزة الضغط فجأة في الجو فلا بد للطيار أن يهبط اضطرارًا لئلا يموت الركاب، فسبحان القائل في محكم كتابه:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾ الأنعام: ١٢٥

بعد أن سمعت الإجابة على سؤالي من قبل الشيخ وسيم، استحضرت سؤالا آخر للتو وقلت:

- عفوا يا شيخنا، سؤال يدور بذهني منذ الوهلة الأولى وأنت تحدثنا عن السماء، كيف لا تسقط السماء على الأرض؟

هزّ رأسه ثم قال:

- لقد سخر الله ما في الأرض لهذا الإنسان، فجعل نواميسها موافقة لفطرته، ولو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبه عن نواميس هذه الأرض ما استطاع الحياة عليها، فضلا عن الانتفاع بها وبما فيها، وهو الذي خلق الكون وفق هذا النظام الذي اختاره له، والنجوم والكواكب تظل مرفوعة متباعدة، لا تسقط ولا يصدم بعضها بعضًا، والله سبحانه القائل:

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ الحج: ٦٥

٧) مصابيح السّماء

هبط المساء واقترب حلول الليل، وبعد أن تناولنا طعام العشاء، دار حديث بيني وبين أبي عن الموضوع الذي حدثنا به الشيخ وسيم، بينما كانت أختي براء منهمكة في تحضير واجباتها المدرسية، وأمي كونها معلمة جلست في زاوية ليست بعيدة عنا، وقد تكدست أمامها مجموعة من الأوراق الامتحانية للتلميذات، وضعت نظاراتها الطبية على عينيها ومن ثم قامت بتصليح أوراق الامتحانات الشهرية للتلميذات لتضع لهن الدرجات عليها، أما أنا فلقد ذهبت إلى غرفتي لأتمم واجباتي المدرسية، وما أن انتهيت من مراجعتها وحفظها، نهضت ووقفت أمام شباك غرفتي أتطلع إلى النجوم التي زينت السّماء! ما أجملها!.. وقبل أن يداعب جفوني النوم، وضعت رأسي على الوسادة، لكنني لم أستطع النوم وذلك لكثرة التساؤلات التي كثرت في رأسي عن ماهية النجوم؟

تعبت من طول التفكير وتوقفت عندما قلت لنفسي: (غدا سأجد الجواب عند الشيخ وسيم)، قرأت المعوذتين فاستسلمت للنوم.

وبعد عودتي من المدرسة، كالمعتاد جاءني إلى البيت كل من شكيب وصباح، وخرجت برفقتهما إلى الجامع قبل أن يحين موعد صلاة العصر، وما أن وصلنا الجامع كان الفتيان والأطفال بانتظار قدوم الشيخ وسيم لإقامة صلاة العصر، إلى أن جاء وصلينا صلاة العصر، بعدها توجهنا إلى

قاعة الدروس، ودخل من بعدنا للقاعة الشيخ وسيم يصحبه الشاب حسان وهما على ما يبدو أنهما كانا في نقاش أو حديث سابق، بقيا على هذه الحالة لدقائق معدودات، ثم جلس الشيخ في مكانه المعتاد، فرحّب بنا أجمل ترحيب وقال:

- ها؟.. من منكم يود أن يسأل عن موضوعٍ يخطر في باله لنتحدث عنه؟

هنا تشجعت وكأن الفرصة قد جاءتني لأسأله:

- عفوًا يا شيخ.. هل لك أن تحدثنا عن النجوم التي تزيّن السماء؟

- "حينما ننظر إلى السماء نندهش لجمالها وهي مزينة بالنجوم، فليس هناك أجمل من منظر النجوم وهي معلقة في السماء في يوم صاف، فالنجوم هي جرم ملتهب عملاق من الغاز المنصهر الغني بالطاقة، تؤمن لها جاذبيتها الجبارة الاندماج التام لغازاتها، وعندما تستنفذ النجمة مخزونها من الغاز، يتحول لونها إلى الأحمر فتسمى إذ ذاك بالمارد الأحمر، وعندما تدخل النجمة مرحلة الاحتضار، تبدأ بالتقلص لتصبح قزما أبيض يبرد ببطء ليتحول في النهاية إلى قزم أسود. والمصابيح، أو النجوم يا يونس، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ الملك: ٥.

هي أجرام سماوية منتشرة بالسماء الدنيا، كروية أو شبه كروية، غازية، ملتهبة، مضيئة بذاتها، متماسكة بقوة الجاذبية على الرغم من بنائها الغازي، هائلة الكتلة، عظيمة الحجم، عالية الحرارة بدرجة مذهلة، وتشع موجات كهرومغناطيسية على هيئة كل من الضوء المرئي وغير المرئي بجميع موجاته، يشير القرآن الكريم إلى إحدى حقائق الكون الباهرة".

شكيب انبهر بحديث الحديث وقال متسائلا:

- وهل باستطاعة الإنسان أن يحصي عدد النجوم في السماء يا شيخ؟

- إن عدد ما أحصاه علماء الفلك من النجوم في الجزء المدرك من السماء الدنيا إلى يومنا هذا تعدى سبعين مليار تريليون نجم!

صباح قال بنبرة المستفهم:

- هل للنجوم أسماء؟

- "نعم، منها الجوار الكنس،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ (التكوير: آيه ١٥و١٦).. أي أقسم قسمًا مؤكدًا بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار وتظهر بالليل، وهو معنى الخنس والتي تجري في أفلاكها لتختفي وتستتر وقت غروبها، بمعنى آخر أي تتأخر عن سير الكواكب المعتادة إلى جهة المشرق.

والثقوب السوداء أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة بحيث لا يمكن للمادة ولا الضوء أن تفلت من أسرها، ويحد الثقب الأسود سطح يعرف باسم (أفق الحدث)، وكل ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾

الطارق: ١ ـ ٣ ، وكذلك النجم الثاقب، هو وصف ينطبق على كل نجم، ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته، ولا ضرورة لهذا التحديد، ويقال له [نجمة الصباح]، ومنهم من قال [إن الوصف ينطبق على الشهب التي وصفها القرآن الكريم بأنها ثاقبة]".

قلت من غير تفكير:

- لماذا لا نرى النجوم في النهار يا شيخ؟

- عندما يحل الليل تظهر على شاشة السماء الزرقاء مجموعة نجوم منفردة، أما النجوم الكثيرة فلا نستطيع رؤيتها في أثناء النهار والسبب في ذلك يا أحبتي هو أن الهواء الذي يحيط بنا هو الذي يخفي عنا النجوم في أثناء النهار، ولو أن أحدا منا عاش على سطح القمر الذي لا جوّ له، لاستطاع أن يرى النجوم في النهار، نحن هنا على سطح الأرض لا نستطيع

رؤية النجوم، والشمس ساطعة في السماء، لأن الهواء يلتقط أشعة الشمس، ويدفع بها من الجهات كافة إلى الأسفل، وبذلك يغمر كامل السماء بصور أسطع من الضوء المنبعث من النجوم، وهكذا يخفي الهواء الذي تنيره الشمس عنا النجوم، ومهما أمعنا النظر بكامل طاقتنا في السماء وفي أكثر الأيام صحوًا، ومع ذلك تحتل النجوم مكانها في السماء خلال النهار، إن بعض النجوم يمكن أن تظهر للعيان في أثناء النهار عندما يحل بالشمس كسوف كلي.

(٨) دائرة الضوء والسراج الوهاج

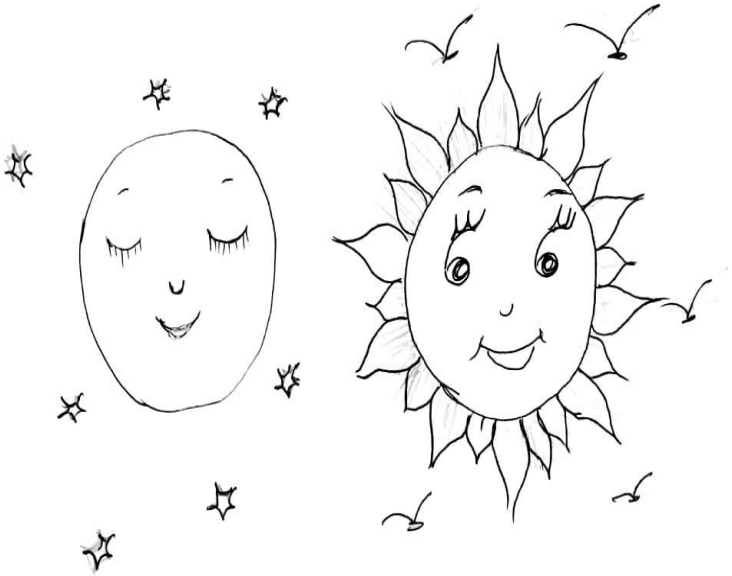

بدأت الألفة تنشأ بيننا وبين الشيخ وسيم، فأحبه الجميع نتيجة سماعهم أحاديثه الشيّقة عن عظمة الخالق الله سبحانه تعالى، وما زاده سرورًا هو التزام الكل بانتظام الحضور إلى المسجد قبل صلاة العصر ومن ثم نصلي وبعدها ندخل قاعة الدروس والكل في شوقٍ لمعرفة الموضوع الجديد الذي سنسمعه من الشيخ.

وعندما وجد الشيخ وسيم إن الفتية والأطفال أكثرهم طلاب أو تلاميذ مدراس حثنا قائلًا:

- "أنا سعيد وفخور بكم جميعًا، فأنتم ملتزمون ومتواصلون، لكن ما أريده منكم هو أن تكون لديكم نفس الرغبة بالالتزام بمتابعة دروس المدرسة مثلما تلتزمون لسماع حكايات الخلق، لأن الرغبة في النجاح لا تأتي لطالب لا يواظب على الاستذكار، ولا تتيسر لآخر لا ينتبه لشرح المدرس أو المعلم، ولا تتكلل بالتوفيق إلا لمن يضع خطة واضحة لكل يوم من أيام المدرسة بأن يسير وفق خطة لساعات النهار والليل كيف يقسمها ما بين الراحة والنوم والمطالعة والنجاح لا للنوم! بل للذي يسعى ويحوّل الفشل إلى تفوق! والكسل إلى عمل! وكأنه يزرع بذرة صغيرة في أول يوم دراسي ويرويها بماء عرقه وكده وتعبه لينتظر ثمارها في نهاية العام الدراسي".

سرعان ما شعرنا بانتعاش وامتلأت قلوبنا بالفرح بعد سماع نصائح الشيخ لنا لنحقق ثمرة النجاح بعد عام دراسي ممزوج بحرارة الصيف وبرودة الشتاء.

- "أما حكايتنا لهذا اليوم يا أحبتي فهي عن دائرة الضوء أي الشمس والسراج الوهاج يعني القمر، فالشمس والقمر نعمتان خلقهما الله لنا، فالشمس تعطينا الضوء والحرارة والدفء فإن لم يخلق الله لنا الشمس فكيف سنميز الليل من النهار؟

من فوائد الشمس أنها تقتل الجراثيم وتسخن مياه البحار ثم تتكثف فتصبح غيومًا ثم مطرا يسقي الزروع ويشرب منه الإنسان والحيوان. والشمس بالنسبة لنا نحن سكان الأرض كرة عملاقة من النار تمدنا بالضياء والحرارة ولولاها لتجمد كوكبنا بما عليه في يوم وليلة، والشمس هائلة إذا قورنت بالأرض؛ إذ يبلغ قطرها (٨٦٤٥٠٠) ميل، أي ما يعادل قطر الأرض مضروبًا في (١٠٩) مرات تقريبًا، وبمعنى آخر فإن حجم الشمس يتسع لمليون أرض، والشمس هي مركز المجموعة الشمسية ونواتها، وهي عبارة عن مجموعة من الكواكب الصغيرة تدور حول الشمس ومن بينها الأرض، الشمس نجم ولكنه ليس كبيرًا جدًّا، فهو لا يعدو إلا أن يكون نجمًا من الحجم المتوسط بين ملايين الشموس الأخرى في الفضاء، وعلى الرغم من أن الشمس تبدو صلبة، لكنها في الحقيقة كتلة من الغازات الملتهبة، وحتى مركزها يتكون من غاز يحترق باستمرار، وتنبعث منه طاقة عظيمة من الحرارة، لأن الشمس تحتوي على انفجارات نووية هائلة تشبه إلى حد بعيد الانفجارات الهيدروجينية ولكنها لا تنتشر بسبب طبقة من الغاز

تحيط بالشمس، ولعل أهم ما في الشمس أنها تعطينا أسباب الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٣٨ ـ ٤٠. وستظل كذلك إلى ما شاء الله تعالى.

أما القمر فيضيء لنا الطرقات وعلى ضوئه يتسامر أهل الريف، ومن فوائد القمر أنه دليل للبحارين في رحلاتهم فيعرفون به الاتجاهات ولولاه لما عرفنا أننا في بداية ووسط أو نهاية الشهر،

والشمس والقمر آيتان من آيات الله وكل يسير في نظامه لا يختل، فالقمر يدور حول الأرض فيتعاقب الليل والنهار، والأرض تدور حول الشمس دورة كاملة كل سنة.

والقمر هو أقرب جار لنا من الفضاء، وهو أكثر جسم لامع في الليل، ويبدو منيرًا لأنه يعكس ضوء الشمس، إلا أنه بالأصل معتم جدًّا.

القمر وكل شيء في الفضاء يسبح. كما نصت الآية، ومن أوجه الإعجاز العلمي في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾".

قال أحد الفتية:

- ما المقصود بكلمة منازل في الآية الكريمة؟

- أي إلى مواقع القمر الثمانية والعشرين وهي مواقعه اليومية المتتالية في السماء بالنسبة إلى النجوم. فإن التعبير [منازل القمر] يمكن إطلاقه على مراحل القمر من الهلال الوليد إلى التربيع الأول إلى الأحدب الأول إلى البدر ثم الأحدب الثاني، ثم المحاق إلى الهلال الوليد للشهر القمري الجديد، والقمر يبدأ ميلاده بهلال دقيق، ثم يندرج في النمو حتى يصبح بدرًا كاملًا، ثم يعاود التناقص في الحجم حتى يصير كالعرجون القديم، ثم يختفي لمدة يوم أو يومين في مرحلة المحاق، وتتكرر هذه الدورة في كل شهر قمري، وفيه أهمية لمعرفة الزمن، وتقديره وحسابه باليوم والأسبوع والشهر والسنة، وفي التاريخ للعبادات والأحداث والمعاملات والحقوق.

قلت للشيخ وقد تلبسني الحرج، لكنه قرأ ذلك الشعور في وجهي حينما قال:

- ما بك يا يونس؟ إنني أرى في وجهك سؤالا؟ قل ما يدور في رأسك؟

- الشمس والقمر هبة الله لنا! كلٌ في فلكٍ يسبحون. وسؤالي: كيف لا تصطدم الشمس بالقمر؟

- أحسنت يا يونس، سؤال جيد، والإجابة عليه من قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾.إن هناك قانونا مطلقا صادقا شاملا لكل شموس الكون، يجبر كل الأجرام والأفلاك أن تحترم

مواقعها، التي حددت لها، فالشمس لا يمكن أن تدرك القمر، أي (لن تستطيع أن تزيد في قدرتها الذاتية على الدوران بسرعة أكثر مما حدد لها)، ولن تستطيع أن توسع دائرة فلكها بحيث يصطدم بفلك القمر أو الأرض، لأن القدرة الإلهية حددت لكل جرم سماوي سرعته بقدر، فإذا دار الجسم حول نفسه بسرعة فائقة فلا بد أن يكون نصف قطر الدائرة التي يدور فيها صغيرًا، وكذلك لو دار حول نفسه بمعدل نصف قطر الدائرة السابق.

شكيب هو الآخر تولد لديه سؤال مشابه لسؤالي حينما سأل:

- كيف لا تصطدم الأرض بالقمر؟

- ضبطت سرعة القمر بقدرة الخالق ضبطًا دقيقًا من أجل الحيلولة دون ارتطامه بالأرض فيفنيها وتفنيه، أو انفلاته من عقال جاذبيتها فينتهي إلى نهاية لا يعلمها إلا الله، وفي نفس الوقت الارتباط الدقيق بين سرعة دوران كل منهما حول محوره، فإن سرعة دوران القمر في تزايد مستمر بنفس المعدل تقريبًا مما يؤدي إلى تباعد القمر عن الأرض بمقدار ثلاث سنتميترات في كل سنة وهذا التباعد سوف يخرج القمر في يوم من الأيام من مسار جاذبية الأرض ليدخله في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه تحقيقًا للواقعة القرآنية التي يصف الحق سبحانه تعالى بقوله:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾

القيامة: ٧ - ٩

لم يبق إلا دقائق ويحين موعد صلاة المغرب فقال آخر المتسائلين:

- هل هناك نهاية للشمس أو للقمر؟

- أكد علماء الفلك أن الشمس تجري وسرعة هذا الجري تبلغ ١٢ميلًا في الثانية، وهذا الجري غير الدوران المعروف للشمس، ويؤكد علماء الفلك جميعًا أن الشمس كأي نجم آخر لا بد أن يعتريها ازدياد مفاجئ في حرارتها وحجمها وإشعاعها بدرجة لا تصدقها العقول، وعندئذ يتمدد سطحها الخارجي بما حوى من لهب ودخان حتى يصل إلى القمر، وهذه هي نهاية الشمس، وهذا يؤكده قول الله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ القيامة: ٦ - ١٢

(٩) هواء متحرك

ما مر يوم إلا وبعد العصر نسمع حكاية من قبل الشيخ وسيم، في تلك الساعة هبت رياح عصفت بالأشجار وأصبح صوتها جَهْوَرِيًّا، دخل الكل مسرعين إلى القاعة لإغلاق النوافذ والشبابيك، إلى أن هدأت الرياح، دخل علينا الشيخ وسيم، وحيانا بتحية الإسلام ورددنا له التحية.

قال أحدنا:

- اليوم الرياح قوية!

رد عليه آخر:

- بل قل ريح؟

رد عليه الآخر ممتعضًا:

- وهل هناك فرق بين الريح والرياح؟

صمت أحدنا ولم يعرف الإجابة.

كبر السؤال في رأسي وقلته للشيخ:

- صحيح يا شيخنا، هل هناك فرق بين الريح والرياح؟

أجابني كعادته باسمًا:

- اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا، والفرق بين الريح والرياح هو أن الريح [هي التي تحمل الدمار والخراب والشر ولشدة قوتها واتصال أجزائها لا يشعر بها الناس، حتى إذا ما وصلت إليهم ونسفت قواعدهم ودمرت منازلهم، تراهم قد أصيبوا بالهلع والذعر، وربما الزوال].

أما الرياح (فهي النسيم العليل الحافل بالخير والبركة والهدوء والمطر والراحة النفسية والطمأنينة القلبية).

فتبارك الله الذي جعل للهواء جناحين جناح رحمة وجناح عذاب.

ثم ارتفع صوت آخر:

- ماذا نفهم عن الرياح يا شيخ؟

- "الريح، أو الرياح، أي هواء متحرك، وفي الحياة فوق هذه السطحية، ولم يستأثره أحد دون الآخر، وما ملّكها الله سبحانه وتعالى ووكّل بها أحدًا من الناس، بل زمام أمورها وتصاريف حركاتها وشؤونها بيد الخالق الرحيم، في قوله تعالى:

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤.

والرياح قوة من قوى هذا الكون، وجند من جنود الله تعالى".

قلت:

- هل هناك أسماء للرياح؟

- "أجل، السحب البساطية، التي تظهر بشكل طبقات تحجب السماء بأكملها ولا توجد لها حدود واضحة، ويمكن تشبيهها بالضباب المرتفع وهي

السحب المنخفضة، وقد تصل قاعدتها في بعض الأحيان إلى سطح الأرض فتظهر بشكل ضباب.

أما السحب الركامية، فهي التي تتكون من تراكم السحب وركوبها بعضها على بعض".

كان إحساس يشد أحد الفتية وهو يصغي بتمعن لكلام الشيخ ثم قال:

- الغلاف الجوي.. هل هو الهواء بحد ذاته؟

رد الشيخ على السؤال بقوله:

- "يحيط بنا الهواء من كل جانب، لكننا لا نستطيع أن نراه، ولا أن نشمّه! لكنه موجود على الأرض، وفي الصخور وفي قمم الأشجار، وفي السماء العالية التي تطير فيه الطيور والطائرات. إن طبقة الهواء العظيمة التي تغطي الأرض تسمى (الغلاف الجوي)، وإذا نظرنا إلى الأرض من الفضاء سنرى أن طبقة (الغلاف الجوي) تشبه ضبابًا أزرق، والغلاف الجوي مهم جدًّا لحياتنا، فهو يمنحنا الهواء الذي نتنفس منه، ويحفظنا من حرارة الشمس القوية جدًّا في أثناء النهار، ويحافظ على حرارة الأرض في الليل، وفي بعض الأحيان يكون الهواء حارًا، وأحيانًا جافًا، وأوقاتًا يكون رطبًا".

(١٠) المعاش واللباس

الشمس تطل علينا بتحية الصباح الجميل لترسل إلينا أشعتها لنتمتع بحرارتها ونشم الهواء النقي وننعم بالأمن والسعادة، ثم أذهب إلى المدرسة، وعند عودتي منها أتناول طعام الغداء ومن بعدها أقوم بتحضير واجباتي المدرسية، وعند صلاة العصر أذهب للمسجد لسماع حكاية من الشيخ وسيم، أعود إلى البيت عندما تغرب الشمس معلنة حلول الليل، والظلام يلف كل شيء بالسواد، مما يعني ذهب النهار وجاء الليل.

اتفقت مع بعض الفتية أن أبدأ بسؤال للشيخ وسيم عن الليل والنهار، وفعلًا عندما دخلنا إلى قاعة الدروس قلت دون استئذان:

- بفضلك يا شيخنا عرفنا أشياء كثيرة عن عظمة الخالق!

قبض الشيخ على المسبحة ثم أجابني قائلًا:

- "الليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق، تشهدان بدقة بناء الكون وانتظام حركة كل جرم فيه لحركات كل من الأرض والشمس والتي تتضح بجلاء في التبادل المنتظم للفصول المناخية، ولكل من الشهور والسنين، والتعاقب الرتيب لليل والنهار، إن التبادل الرتيب بين الليل المظلم والنهار المنير هو من الضرورات اللازمة للحياة على الأرض، ولاستمرارية وجود تلك الحياة بصورها المختلفة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فبهذا التبادل بين الظلام والنور يتم التحكم في درجات الحرارة والرطوبة على سطح الأرض وفي غلافها الغازي القريب من ذلك

السطح، ويتم التحكم كذلك في كميات الضوء اللازمة للحياة في مختلف البيئات الأرضية، كما يتم التحكم في العديد من الأنشطة والعمليات الحياتية مثل التنفس، والنتح، والتمثيل الضوئي وغيرها، ويتم ضبط حركات كل من الأمواج والتيارات المختلفة في البحار، ومن أهمها حركات المد والجزر، ويتم التحكم كذلك في تصريف الرياح وتسخير السحاب، وإنزال المطر بإذن الله، وإن جميع صور الحياة الأرضية لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فالإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة يحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار أو عكس ذلك بالنسبة لأنماط الحياة الليلية".

انتظرت شكيب طويلًا، حتى حانت الفرصة المواتية لطرح سؤاله:

- ما الفرق بين الليل والنهار بالنسبة للإنسان؟

- "الإنسان يحتاج إلى أن يسكن بالليل فيخلد إلى شيء من الراحة والعبادة والنوم مما يعينه على استعادة نشاطه البدني والذهني والروحي، وعلى استرجاع راحته النفسية، واستجماع قواه البدنية حتى يتهيأ للعمل في النهار التالي. وأن أفضل نوم للإنسان هو نومه بالليل، خاصة في ساعات الليل الأولى، وأن إطالة النوم بالنهار ضار بصحته لأنه يؤثر على نشاط الدورة الدموية تأثيرًا سلبيًّا ويؤدي إلى شيء من التيبس في العضلات،

والتراكم للدهون على مختلف أجزاء الجسم، وإلى زيادة في الوزن، كما يؤدي إلى شيء من التوتر النفسي والقلق، وربما كان مرده كله إلى الحقيقة القرآنية التي مؤدها أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الليل لباسًا، وجعل النهار معاشًا".

قلت غير مصدق:

- بهما يتحدد الزمن؟

- أجل يتحدد كل من الليل والنهار، ويوم الأرض وشهورها وفصولها وسنينها بدورة الأرض حول محورها، وبسحبها في مدارها حول الشمس، وبذلك يستطيع الإنسان إدراك الزمن وتحديد الأوقات والتاريخ للأحداث.

(١١) سر الحياة

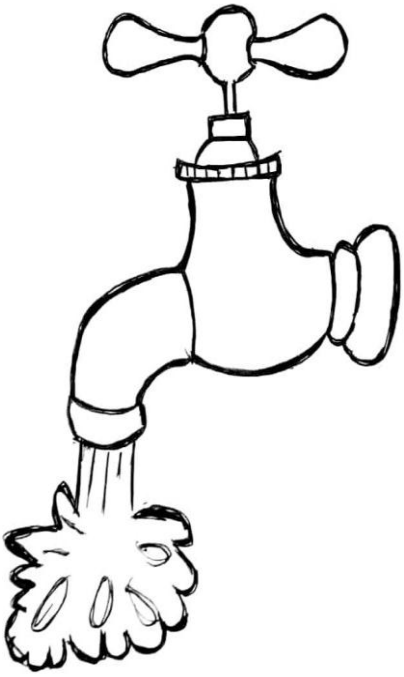

كان ذلك اليوم الربيعي المشمس يبعث في الحيوية والنشاط وأنا ذاهبٌ للجامع، كنت عطشان وما أن دخلت باب الجامع اقتربت من سقاية الماء الكهربائية (ثلاجة الماء) وشربت كوبين من الماء حتى ارتويت، وبعدها دخلت إلى قاعة الدروس وأضمر في قلبي سؤال خطر ببالي لحظة احتسائي للماء، بأن يكون سؤالي للشيخ الذي سيحكي لنا عن الماء، وفعلا تحقق ما أردته حينما قال صفوان للشيخ:

- حبي لك ما يجعلني أثقل عليك بأسئلتي يا شيخ؟

ابتسم الشيخ مشجعا ورد عليه قائلا:

- أحبك الله يا صفوان، الذكي هو من يسأل دائما، قل؟.

- لم لا تحدثنا اليوم عن الماء؟

- "لا يستطيع كائن على وجه الأرض أن يستغني عن الماء أو أن يعيش بلا ماء، فالماء هو أصل الوجود والحياة، وقد قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٠

وهذا يدل على عظمة تلك النعمة الإلهية التي منحنا الله إياها. وتصوروا يا أحبائي ماذا يحدث لو انقطع الماء عن المنزل لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وتخيلوا الأضرار التي تحدث من وراء ذلك، وجربوا أن تستيقظوا في الصباح فلا تجدوا ماء في صنبور الحمام أو المطبخ، وماذا يكون شعوركم وأنتم ذاهبون إلى المدرسة دون أن يغسل كل منكم وجهه بقليل من الماء، أو يغسل يديه بعد وجبة الإفطار! أو أن يلعب أحدكم وتتسخ ملابسه ثم لا تجد أمه ماء كي تغسلها وتنظفها، أو أن يعطش أحدكم فلا يجد في الزجاجة التي يحملها ليروي عطشه! لذا يعد الماء ضرورة من ضرورات

الحياة. الماء نعمة من نعم الله، فيجب علينا ألا نسرف في استخدامها لأن الله لا يحب المسرفين، ويجب ألا نسرف في استخدامها عند الوضوء والاغتسال، وعندما نرى أحدنا يسرف في الماء سواء كان في البيت أو المدرسة علينا أن ننصحه ألا يسرف فيه، وينبغي أن نعلم أن الإنسان والحيوان والنبات لا يستطيعون أن يعيشوا في الأرض من دون الماء، فالماء أساس الحياة.

كنت أصغي باهتمام لحديث الشيخ وسيم حتى تولد سؤال في رأسي:

- نفهم من كلامك يا شيخ أن الماء سر الحياة، لذا مؤكد بأن له أهمية عند الزراع والأطباء والباحثين؟

- أجل يا يونس، في قطاع الزرّاع يرى أن الماء هو الشيء الأساسي للحياة فإذا غاب لا تنبت البذور ولا الحبوب، ولا تنمو المزروعات ولا توجد الأنعام، ويهلك الحي منها ويموت. أما الأطباء فيرون الماء من زاوية أهميته لحياة الناس وصحتهم الخاصة والعامة، فجميع العمليات الحيوية في الجسم تحتاج إلى الماء حتى تتم. والبيولوجيون يجمعون في نظرتهم بين الزراع والأطباء ويزيدون عليها أن الماء هو الحياة جميعا، وأن التربة الزراعية والنبات والحيوان والإنسان والكائنات الحية الدقيقة تحتاج إلى الماء في كل مرحلة من مراحل حياتها.

قال أحدنا:

- وماذا يقول علماء التاريخ والجغرافيا عن أهمية الماء؟

- أما علماء التاريخ والجغرافيا البشرية فيربطون بين نشأة الحضارات والماء، فالحضارة المصرية ارتبطت بنهر النيل وحضارة سبأ ارتبطت بالمياه

الموسمية وسد مأرب، وحضارة العرب ارتبطت ببئر زمزم وتفجر الماء العذب منه. أما الفيزيائيون والذين يخططون للمستقبل فيرون أن الماء هو مصدر الهيدروجين عنصر الطاقة الحيوية والاستراتيجية في المستقبل القريب. والجيولوجيون يرون نشأة الحياة وتكون التربة والحفريات وعناصر الطاقة ومصادرها القديمة والحديثة مرتبطة بالمياه ووجودها ودورتها في الحياة. وفي قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٠.

لم يجعل صباح الشيخ وسيم يكمل كلامه، فقال متسائلا:

- هل باستطاعة الإنسان العيش من دون ماء؟

ابتسم الشيخ وسيم وأجابه:

- إن بإمكان الإنسان العيش شهرا من دون طعام، لكنه لا يمكن العيش من دون الماء لأسبوع.

كنت أنصت بكل اهتمام لحديث الشيخ وسيم، فيما هو كان ينظر إلي بين الفينة والأخرى، ففي هذه الأثناء تذكرت أنني قرأت يوما ما موضوعا في إحدى مجلات الأطفال في مكتبة أبي، عن حيوان لا يشرب الماء. هنا وقفت دون استئذان من الشيخ وقلت:

- عفوا يا شيخ لكنني قرأت يوما ما في مجلة للأطفال موضوعا عن حيوان لا يشرب الماء! اندهش الشيخ وجميع الفتية والأطفال وحدث لغط. مما أغاظ الشيخ ليومئ للجميع بالصمت ثم قال:

- هدوء!

ثم استدار نحوي قائلا:

- طيب. احك لنا يا يونس عما قرأته عن هذا الحيوان الذي لا يشرب الماء.

شعرت بالزهو والفخر حينما طلب مني الشيخ ذلك، هززت برأسي بالموافقة، ورحت أحكي قائلا:

- الكنغر البري، الذي يعيش في صحراء أستراليا لا يشرب الماء إطلاقا مع أنه يعيش في الصحراء؛ وذلك لوجود جهاز إضافي إلى جهازه الهضمي والتنفسي، يوجد جهاز مصنع لتركيب الماء مصنع بكل ما تعنيه الكلمة من معنى يأكل هذا الحيوان نوعًا من الحبوب الموجودة في بيئته، وهذه الحبوب جلفة جدا ليست فيها قطرة ماء بعد هضمها في الجهاز الهضمي تنتج غاز الهيدروجين[H]، وكلنا نعرف أن الماء مكون من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين [h2o] وهو يحصل على الأوكسجين من الهواء فيقوم مصنع المياه الداخلي بتركيب ذرتين من الهيدروجين الناتجة من الجهاز الهضمي وذرة الأوكسجين الناتجة من الجهاز التنفسي، ويكون الماء داخليا.

أخذت عينا الشيخ تشع فرحا مرددا بزهو:

- فتبارك الله أحسن الخالقين، ومن بعده كبر الجميع مرددين بصوت واحد:

-- الله أكبر.. الله أكبر. وأكمل الشيخ كلامه، تبارك القائل في كتابه:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٠

لأول مرة امتلك أحد الأطفال الجرأة وقال:

- المطر، أليس هو الماء؟ وما سبب سقوطه على الأرض؟

أظهر لنا هذا الطفل بأن سؤاله كان يدل عن ذكاء، فأجابه الشيخ:

- "وأنه نزول ماء من السماء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ المؤمنون: ١٨.

وهذا الماء أصل الحياة وعنصرها الذي لا تنشأ إلا به كما قدر الله، وهو الذي قدر أن يكون عذبا فقال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ الواقعة: ٧٠ أي مالحا يا أحبائي، لا يستساغ ولا ينشأ منه حياة.

إن دورة المياه الأرضية ثابتة ما دامت قد وجدت الحياة، وإنه لا سبيل إلى زيادة الماء قطرة ولا أن ينقص منها قطرة، فالماء يتبخر، وما يستهلكه الأحياء كلهم من ماء إنما يعود إلى الأرض ثانية كاملا غير منقوص في مخلفاتها أو في بقايا أجسامها، وإن جبال الجليد والثلوج عندما تسيل فإنها لا تضيف جديدا على الماء لأنها أصلا من ماء الأرض.

وهذه الدورة المائية الثابتة والمقدرة قد سبقت بها وإليها آيات القرآن الكريم. أما سبب سقوط المطر فحتى يحفظ ربنا سبحانه هذا الماء من التعفن والفساد حركه في دورة معجزة تعرف باسم [دورة المياه الأرضية]، ولما كانت نسبة بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض ثابتة، فإن كمية سقوط الأمطار سنويا على الأرض تبقى مساويةً لكمية التبخر من على سطحها وإن تباينت أماكن وكميات السقوط في كل منطقة حسب الإرادة الإلهية".

(١٢) نار السحاب

كل يوم ننتهي من تحضير ومراجعة واجباتنا المدرسية، بعدها نتوجه إلى الجامع كأننا سرب طيور السنونو المهاجرة القادمة من بلاد الثلج وهي تبحث عن الدفء ربيع ارض الرافدين، أما نحن فنبحث عن حكاية جديدة من قبل الشيخ وسيم. وفي طريقنا نحو الجامع فجأة أومض البرق ودوى الرعد، فأسرعت بخطاي إلى أن دخلت قاعة الدرس، وفي ظل هذا الجو الربيعي الممزوج فيه بين المطر والبرق والرعد والشمس التي تظهر هنا وتختفي هناك، مما حدا بالشيخ وسيم أن يحكي لنا اليوم عن البرق والرعد، وابتدأ بالكلام قائلا:

- البرق والرعد أو نار السحاب، هما معجزة قرآنية وحقيقة كونية هي أن سبب حدوث البرق والرعد والصواعق مع تكوين السحاب الثقال الممطر -أي المتشابه الضخم- في الجو العاصف هو اجتماع الحالتين المتضادتين المتكهربتين المتجاذبتين تجاذبا شديدا في هذا السحاب عندما يقترب بعضه من بعض ثم يجتمعان. البرق شرر كهربائي عظيم الحرارة شديد الضوء مفرط السرعة، يحدث بمرور الكهرباء في الهواء بين كتل السحاب الرعدي، فيسخن الهواء من مقاومته لمرور الكهرباء خلاله إلى درجة عظيمة، ويتمرد بسرعة كبيرة، ولكنه يبرد ويرجع إلى حالته الأصلية بسرعة كبيرة أيضا، فيتولد من تمدده وانكماشه السريعين موجات اهتزازية عظيمة السعة فتنتشر في الهواء بين السحاب والأرض، فينشأ عنهما صوت الرعد.

أحد الفتية سأل الشيخ قائلا:

- وما هو رأى العلم فيما يحدث من برق ورعد؟

أجابه الشيخ باسما:

- العلم يتفق مع ما قيل عن السبب العام في تولد البرق والرعد والصواعق، وهو التكهرب الموجب والسالب في السحاب. وقد أثبت أن الصواعق تحدث نتيجة التفريغ الكهربائي ويتم هذا التفريغ عادة خلال الأجسام المرتفعة أو القابلة للتوصيل الكهربائي، ولهذا السبب يتعرض الشجر وخاصة البلوط للصواعق، كما تتعرض لها السفن في البحار والمحيطات، وإذا أصيب شخص بمس بسيط من صاعقة وجبت المبادرة إلى إجراء التنفس الصناعي له لمدة لا تقل عن ساعة، وربما تعود إليه الطبيعة وغالبا ما يفقد حياته، ولا عجب فقد أهلك الله عادا وثمود بالصاعقة، فقال:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فصلت: ١٣ .

عندما انتهى الشيخ وسيم من حكاية اليوم، خرج جميع الفتية والأطفال، لكن ظل في القاعة الشيخ وسيم والشاب حسان وهما في نقاش حاد بينهما بصوت منخفض.

عند خروجي من الجامع هبت رياح عاصفة، وتلبدت السماء بالغيوم وسرعان ما بدأت تمطر بغزارة كأنها شلال، أخذنا نقفز ونهرول هنا وهناك تحت قطرات المطر، لكنني لم أسمع نصيحة أمي حينما طلبت مني أن أحمل المطرية (المظلة الشمسية) خوفا من هطول المطر في أثناء ذهابي للجامع، بعدها هدأ المطر ولفحني نسيم هواء بارد، تغيرت سحنتي واصفرّ وجهي وانطفأ حماسي ورحت أرتجف بعد أن تبلل شعر رأسي وثيابي، وما أن دخلت البيت لم أشعر بنفسي إلا وأنا أعطس عدة عطسات قوية، فهذه هي أعراض الزكام، استبدلت ثيابي، وبعدها استلقيت في فراشي وأنا ما زلت أرتجف، أمي على الفور دثرتني بلحاف سميك حتى رأسي ورحت في نوم عميق.

(١٣) النبات

استيقظت من نومي العميق ورحت أطالع كتبي، فركت عيني وخاطبت نفسي قائلا:

- (لا بد أني نمت كثيرا، مؤكد الآن انتهى الشيخ وسيم من إلقاء حكاية للفتية والأطفال).

على صوت جرس الباب الخارجي استفقت من نومي، بعدها بلحظات دخل غرفتي كل من شكيب وصباح، فرحت بقدومهما كثيرا، وتبادلنا التحية والعناق، قال لي شكيب وعلى وجهه التعجب:

- ما بك يا يونس؟.. تخلفت عن المدرسة وعن الجامع، خير؟

صباح هو الآخر لم يعطني فرصة للإجابة على سؤال شكيب، ثم دخلت أمي وهي تحمل (صينية) فيها كعك من صنع يدها وكوبان بداخلهما عصير البرتقال، رحبت بهما، ثم خرجت من الغرفة، بينما كان شكيب وصباح تارة يقضمان قطعة الكعك وأخرى يحتسيان من عصير البرتقال، قلت لهما عن سبب تخلفي عن الحضور للمدرسة والاستماع لحكايات الشيخ بسبب الزكام، فأنا متشوق لسماع الحكاية التي حكاها الشيخ وسيم اليوم من أحدكما وعماذا. فأجابني شكيب قائلا:

- كانت حكاية اليوم عن النبات. صباح أخذ بدوره يروي لي ما حكى لهم الشيخ بالقول سريعا تارة وأخرى يصمت ليتذكر تكملة الموضوع، وكثيرا

ما كان شكيب يذكره ببعض الفقرات التي قد نسيها في أثناء كلامه لي:

- (بما أننا في فصل الربيع الذي تتفتح فيه الزهور في الحدائق العامة والبيوت ومنها حديقة الجامع التي زرعت فيها أجمل أنواع الزهور التي غطت الأرض بألوانها الزاهية ناشرة عبيرها في الجو، وأعتقد جازما أنه لا يوجد أحد على وجه الأرض لا يحب الزهور والورود لما يبعثه من مشاعر طيبة ومعنى جميل واستنشاق عبير الورد يعزز الشعور بالبهجة والسعادة).

أخذت أنظر إلى شكيب تارة وأخرى إلى صباح وهما يتبادلان وظيفة الراوي، وأنا المستمع مصغيا لهما بصمت وشوق لسماع الحكاية التي تخلفت عن سماعها فقلت متعجلا:

- حسنا أكملا كلامكما يا رفاق، هيا، لقد أطلتم في المقدمة، ما هو موضوع اليوم؟

تنهد صباح ورد بقوله:

- دعني أنْه كلامي، قال لنا الشيخ وسيم:

- (ما رأيكم يا أولاد أن نذهب إلى حديقة الجامع لنجلس بين زهورها ونستمع معا إلى حكاية من حكايات صنع الخالق ﷻ؟).

هتف الكل:

- ما هو يا شيخنا؟

أجابهم بالقول:

- "(النبات!)... فلولا النبات لهلك الإنسان والحيوان، فالنبات ضروري للحياة، وهو غذاء للإنسان والحيوان، وهو مصدر الجمال والنقاء في الطبيعة، كما تلعب النباتات والأشجار دورا أساسيا في دورة الماء على الأرض، فالماء يمر في دورة مغلقة تبدأ بتبخره من البحار والمحيطات، وكذلك تبخره من أوراق الأشجار والنباتات، وتنتهي برجوعه مرة أخرى إلى الأرض في صورة أمطار. وعلينا جميعا أن نحافظ عليه حتى تصبح بيئتنا نظيفة، تسر الناظرين. قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد: ٤.

كل واحد من هذه وتلك ألوان وأنواع ودرجات، ومنها العامر الغامر، ومنها المزروع الحي والمهمل الميت، ومنها الريان والعطشان، ومنها ومنها، وهي كلها في الأرض متجاورات، وهذه التفصيلات: (وجنات من أعناب) و(وزرع) و(نخيل) تمثل ثلاثة أنواع من النباتات، الكرم المتسلق، والنخل السامق، والزرع من بقول وأزهار وما أشبه مما يحقق تلوين المنظر، ولكن الثمار مختلفات الطعوم، والنخلة عمتنا التي ذكرها القرآن ونبينا محمد ﷺ)".

بعد هذا الشرح الوافي من قبل صباح ازدرد ريقه وتناول الكوب وأخذ يحتسي ما تبقى من عصير البرتقال الذي بداخله دفعة واحدة... التفتّ إلى شكيب وقلت له:

- لا بد أن لديك بعض الإيضاحات التي قد نسي ذكرها صباح؟

هز رأسه واحتسى ما تبقى من العصير بداخل كوبه وقال:

- أجل يا يونس، (فالنباتات ذات ألوان وبهجة، يكمن جمال الزرع في ألوانه الرائعة، وأشكاله المتعددة، وكثافته الناضرة، وانحناءاته الرائعة، وقوامه البديع، وقد أبدع القرآن الكريم في حديثه عن الزرع وعن ألوانه المختلفة من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر، ومن الجمال الذي يتمتع به الزرع وتدرج ألوانه في مراحل نموه المختلفة التي يمر بها، فيبدو وهو نبتة مخضرا مشبعا باللون الأحمر، ثم يخف ذلك الاحمرار بالتدرج إلى أن ينتهي، وتكمل النبتة اخضرارها، ثم تتدرج الخضرة بالتزايد إلى أن تقترب نحو السواد، ثم تخفت الخضرة مرة أخرى متجهة إلى الاصفرار بالتدرج إلى أن يصفرّ الزرع ويكون في آخر مراحله وهكذا).

تلعثم شكيب في كلامه ثم توقف على الفور، وأضاف صباح قائلا:

- (من المعلوم أن اللون السائد في الزرع هو اللون الأخضر، وقد تكلم القرآن الكريم عن هذا اللون وأعطاه اهتماما كبيرا، بل جعله أهم الألوان في الجنة التي وعدها الله عباده المتقين، حيث إن اللون الأخضر لون يبعث

على التفاؤل مريح لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق، واللون الأخضر سيد الألوان في الجنة، وهو كذلك أساس الحياة، فلا حياة على هذه الأرض بدون اللون الأخضر).

برقت عينا شكيب وكأنه تذكر آخر ما قاله الشيخ بهذا الخصوص:

(تلعب النباتات دورا أساسيا في دورة الماء على الأرض، فالماء يمر في دورة مغلقة تبدأ بتبخره من البحار والمحيطات، وكذلك تبخره من أوراق النباتات، وتنتهي برجوعه مرة أخرى إلى الأرض في صورة أمطار).

(١٤) الأشجار

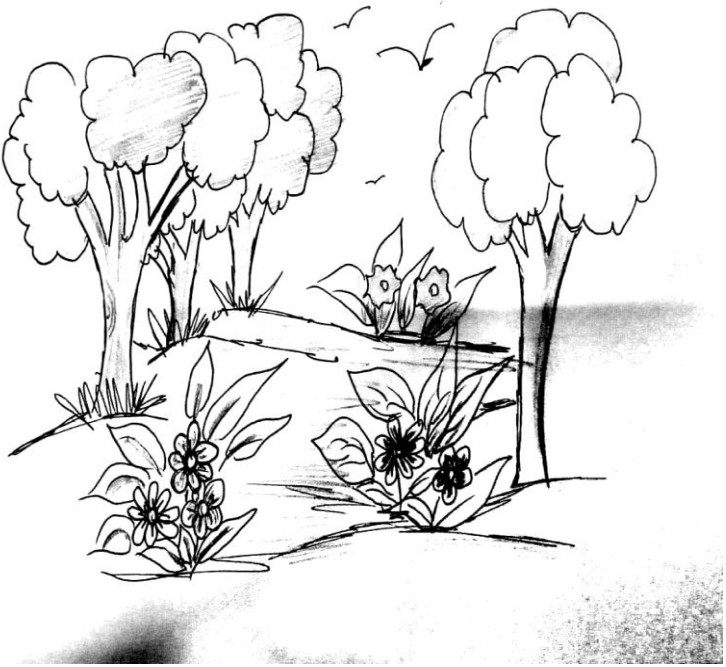

كنت نائما في سريري حتى الصباح، مسترخيا، محتضنا حلمي الجميل، حلم رقيق جدا، هو بأنني داخل الصف عندما طلب منا مدرس اللغة العربية موضوعا في التعبير حينما خاطبنا جميعا:

- اسمعوا يا أولاد بما أننا في فصل الربيع الذي يكثر فيه الاخضرار وتورق الأشجار أريد منكم أن تكتبوا موضوعا عن الأشجار.

كأنني تذكرت أن الشيخ وسيمًا قد حدثنا عن الأشجار، وأمسكت قلم الرصاص وأخذت أكتب في دفتر التعبير:

[الشجرة رمز للحياة ثمرها يؤكل وخشبها يصنع وجذعها المديد مصد للريح العاتية وفيؤها يظلّ الكدودين والمتفيئين وبين أدراجها الخير والعطاء ومجرد النظر إلى البساتين والحدائق الغناء يضفي جوا من السعادة يفرح النفوس ويبهج الصدور، فالأشجار هي رونق الحياة ونبضها الدافئ، فهي دعوة لاستغلال الأرض وزراعتها بالأشجار مثمرة لتهدي لنا بين طيات أغصانها الخضراء نسمات عذبة تثلج وتطيب النفوس.

وهي نعمة من الله ﷻ، وقد ذكرت في القرآن الكريم في أكثر من سورة، وخلق الله سبحانه وتعالى الأشجار لفائدتها الكبيرة، وتسهم الأشجار في تجديد الهواء باستمرار عن طريق عملية التمثيل الضوئي. تستخدم أغصان الأشجار في صناعة الورق وبناء المنازل وللتدفئة ولصنع الأثاث، لذلك يجب

علينا الحفاظ على الأشجار وألا نقطف ثمارها قبل أن تنضج وأن يكون شعارنا يا أحبائي:(ازرع ولا تقطع فالشجرة ثروة وجمال).

هي الأمومة والعطاء، سلة الغذاء والدواء ومنبع للجمال والإلهام، عش للطيور، ظل للكبار والصغار، أزهارها تقصدها النحلات، ثمارها كلها فوائد، هي ثروة ثمينة للبشر دون مقابل.

فقط ما تطلبه هو الاهتمام بها وسقيها بالماء كي لا تموت وتتيبس.

والنخيل من الأشجار التي جاء ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها... هي النخلة)].

توقفت هنا مندهشا وقلت للشيخ:

- هل لك أن تحدثنا عن النخلة قليلا؟

- الحديث عن شجرة النخيل سيطول، لكنني أعدك، سأتحدث عن عمتنا النخلة في يوم آخر.

ثم عدت لأكمل الموضوع:

[وكذلك شجرتا التين والزيتون، في قوله تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ التين: ١ - ٣

إشارة إلى شجرة الزيتون الذي تتميز أشجاره وثماره وزيوته بميزات عديدة لا تتوافر لغيره من النباتات. كما نرى عظمة الخالق سبحانه وتعالى في تنوع

الأشجار واختلاف ألوانها، تختلف الأشجار اختلافا كبيرا في أنواعها وأشكالها وألوانها مما يعطيها المزيد من الجمال والبهجة، فمنها الباسق والقصير ومنها السميك والنحيف، ومنها كثير الفروع وقليله، ومنها المتسلق والزاحف، وتختلف أيضا في تنوع ثمارها وأوراقها].

معظم الطلبة قد انتهوا من كتابة التعبير في دفاترهم ومن ثم أعطوها للمدرس، إلا أنا، كوني لم أنته من كتابة الموضوع أسوة بباقي زملائي في الصف، مما حدا بالأستاذ شاكر مدرس اللغة العربية أن يهملني وقتا إضافيا حينما اقترب مني ووقف على رأسي وأخذ يحدق بورقة الدفتر التي أكتب فيها وراح يقرأ بعضا مما كتبته بصوت عال:

- الشجرة رمز للحياة ثمرها يؤكل وخشبها يصنع وجذعها المديد مصد للريح العاتية وفيؤها يظل الكدودين والمتفيئين وبين أدراجها الخير والعطاء ومجرد النظر إلى البساتين والحدائق الغناء يضفي جوا من السعادة يفرح النفوس ويبهج الصدور، فالأشجار هي رونق الحياة ونبضها الدافئ.

بينما كان زملائي الطلاب صامتين يصغون لسماع الكلمات التي دونتها في دفتر التعبير، وختم قوله:

- أجدت في كتابة الموضوع يا يونس، لكن قل لي بصراحة، من أين لك بكل هذا الكلام؟

نهضت خجلا متلعثما وأجبته بالقول:

- عفوا يا أستاذ الكلام كله بفضل الشيخ وسيم.

سألني الأستاذ شاكر مجددا:

- ومن يكون الشيخ وسيم؟

- إمام وخطيب الجامع.

هتف عدد من الطلاب الذين قد حضروا معي لاستماع أحاديث الشيخ وسيم ونهض أحدهم قائلا:

- نعم يا أستاذ، أكثر من شهر ونحن يوميا بعد صلاة العصر نسمع منه حكاية من حكايات الخالق الله سبحانه وتعالى.

- ابتهج الأستاذ شاكر عندما سمع الكلام من أحد الطلبة، ثم التفت نحوي وربت على كتفي قائلا:

- أحسنت أيها الطالب الذكي! صفقوا له.

فصفق لي طلاب الصف جميعا، مما جعلني أفخر بنفسي وأصوات التصفيق تملؤ أذنيّ، فأخذت ألتفت إليهم هنا وهناك، إلى أن سقطت من فوق السرير! نهضت من نومي حينما شاهدت الشمس وهي تداعب عيني بأشعتها المنبعثة من نافذتي، أغمضتها بقوة صائحا:(توقفي أيتها الشمس! دعيني أظل في سريري الدافئ). شعرت بحلمي الصغير يرحل عني دون إزعاج،

كانت الفرحة تغمرني، والحماس يشدني إلى أن أحقق حلمي فعلا بكتابة موضوع في مادة التعبير مما علق بذهني من حكايات الشيخ وسيم أو إنجاز نشرة جدارية ورقية تتضمن موضوع (النخلة عمتنا)، أو في كلمة أقرؤها بين جموع الطلبة بمناسبة يوم رفع العلم.

(١٥) انتظار!

تأخر الشيخ وسيم عن الحضور إلى الجامع فحدثت جلبة إلى أن جاء مؤذن الجامع الحاج مرعي الذي طلب منا جميعا الهدوء والسكينة لأننا في بيت من بيوت الله، وهذا المكان فيه قدسية واحترام فهو ليس بساحة لكرة القدم أو حديقة أو سوق.

وبعد أن شعر الجميع بالخجل عم صمت مطبق من قبل الجميع، وحينها قال لنا الحاج مرعي:

- الشيخ وسيم طلب مني أن أخبركم بأنه سيتأخر قليلا.

صفوان على الفور سأله:

- لماذا يا عم مرعي؟

ابتسم الحاج مرعي وتردد في الإجابة لكنه قال:

- حسب ظني اليوم هو موعد اختبار أخيكم حسان لنيل شهادة عليا، لذا طلب من الشيخ أن يكون من ضمن المدعوين والمؤازرين له داخل قاعة الاختبار، لا تذهبوا بعيدا، مر زمن طويل، ربما هو في الطريق، أو على مقربة من الجامع يا أولاد، أكثروا من التسبيح ريثما يصل الشيخ، وأوصيكم بالهدوء.

فأجبته بدلا عن الجميع:

- حسنا يا عم سننتظر الشيخ، ونعدك بألا يصدر من عندنا أي صوت أو إزعاج للآخرين.

غادرنا الحاج مرعي إلى غرفته التي بداخل الجامع، أما نحن فقد تفرقنا فرادى وأزواج وأزواجًا وربما مجاميع هنا وهناك، في حديقة الجامع، باحة الجامع، قاعة الدرس، وآخرون في باب الجامع يصوّبون أعينهم نحو

الطريق المؤدي إلى الجامع، بينما وقفت أنا إلى جانب كل من شكيب وصباح، وأخذنا نتبادل الحديث معا، كان صباح البادئ بالكلام:

- ماذا تعني الدراسات العليا؟

أجبته، لكني لست متأكدا من الإجابة الصحيحة:

- على ما أظن هي شهادة أخرى بعد الانتهاء من الجامعة بسنتين تسمى الماجستير أو (الماستر) ومن بعدها تكون الدراسة دكتوراه.

هز صباح رأسه غير مقتنع، لكن شكيب أثنى على إجابتي وأضاف قائلا:

- صحيح كل ما قلته يا يونس، ومن بعدها هناك شهادة البرفيسور.

في هذه الأثناء حدثت جلبة أمام باب الجامع وإذا به الشيخ وسيم وهو يدخل وبصحبته الشاب حسان الذي يحمل صندوقا كارتونيا، رحب بعضٌ من الفتية والأطفال بقدومهما، وعلى الفور طلب الشيخ من صفوان وأحد الفتية الذين يقفون إلى جانبه أن يساعدا حسانا بنقل علب كارتونية أخرى إلى قاعة الدرس، وبالفعل لبى النداء صفوان ومن معه وأخذا ينقلان علبا كارتونية إلى داخل قاعة الدرس، الكل منا دار سؤال في خلده!.. يا ترى ماذا يكون بداخل هذه العلب الكارتونية؟! صاح الشيخ بنا جميعا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رددنا عليه بتحية الإسلام، ثم دخلنا إلى القاعة، جلسنا مصغين متلهفين وكلنا يصوب نظره إلى العلب الكارتونية، وقبل أن يبدأ الشيخ بحكاية جديدة لنا قال ويملؤ قلبه الفرح الكبير:

- أعتقد أن الحاج مرعي قد أخبركم سبب تأخري؟

صاح الجميع بصوت واحد:

- نعم يا شيخنا.

ثم أردف قائلا:

- اليوم وبحمد الله أخوكم حسان قد نال شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، وكلي أمل أن نحذو حذوه في الاجتهاد وطلب العلم والتفوق وإنهاء الدراسية الإعدادية وما بعدها لتنالوا مثل شهادة أخيكم حسان.

عمت كلمات التأييد للشيخ من قبل الجميع، بعدها قال الشيخ:

- بارك الله فيكم جميعا، وإن أخاكم حسانا أبى أن يحضر بنفسه ويجلب لكم قطعا من الكيك وعلب عصير البرتقال بهذه المناسبة، هيا كلوا واشربوا.

هب الجميع إلى العلب الكارتونية، وكل واحد منا أخذ قطعة من الكيك وعلبة عصير، ونحن نأكل ونشرب بفرح وسرور، والضحكة نخفيها في بطوننا خوف أن يغضب علينا الحاج مرعي قبل الشيخ وسيم، لكن صفوان غص في أثناء ما يشرب العصير مما أثار من يقف إلى جانبه إلى أن يضحكوا طويلا. هز الشيخ وسيم رأسه وهو يخفي ضحكة عميقة وقبل أن يغادر بصحبة الشاب حسان قال لنا:

- في الغد إن شاء الله لنا لقاء لنتحدث عما تيسر لنا عن حكايات بديع صنع الخالق البارئ الله تبارك في خلقه.

(١٦) عمتنا النخلة

في عصر اليوم الثاني، كالمعتاد انضممنا فتية وأطفالا ودخلنا قاعة الدرس وكلنا شوق لسماع حكاية من حكايات الشيخ وسيم. وما أن دخل علينا ألقى تحية السلام، فرددنا عليه بأجمل منها، ثم جلس في مكانه، يبدو مبتسما نشيطا كعادته كل يوم، وأخذ يتفحص الوجوه ليتأكد من حضور الجميع، وما أن وقع بصره علي قال:

- يا سبحان الله، البارحة من كثرة فرحي بحسان وهو ينال شهادة عليا، نسيت أن أسالك عن سبب غيابك قبل يومين يا يونس؟.

أجبته بأدب بالغ:

- لأنني أصبت بالزكام ورقدت بالفراش، حتى إنني لم أذهب إلى المدرسة يا شيخ. هز رأسه بالإيجاب ثم أردف قائلا:

شفاك الله من كل مكروه يا ولدي.

شكرت الشيخ وقلت:

- قبل يومين تحدثت عن الشجرة وعن النخلة عمتنا، يا ليتنا نسمع اليوم شيئا عن العمة!

ابتسم الشيخ وابتدأ القول:

- النخيل من الأشجار المباركة التي كرمتها الأديان السماوية؛ فقد ذكرت في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعا، ويعد المسيحيون سعف النخيل رمزا للمحبة والسلام، وكذلك الديانة اليهودية اعتبرت التمر من الثمار السبعة المقدسة. ورد ذكرها كثيرا في القرآن الكريم:

﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ الكهف: ٣٢

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) ﴾ الشعراء: ١٤٨

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) ﴾ ق: ١٠

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ البقرة: ٢٦٦

وفي الحديث النبوي الشريف:

[أكرموا النخلة فإنها عمتكم]

[نعمة العمة لكم النخلة]

[ليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران]

[من فطّر صائما بستّ من التمر فله الجنة]

[بيت ليس فيه تمر جياع أهله]

وقال الإمام علي ﷺ: (أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة آدم فهي بهذا الاعتبار عمة إلا وهي نسبة وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الرطب، فإن لم يكن رطبا فتمرا).

أما في اللغة فقد روى أحد العلماء أن الله أمر الملائكة فوضعوا التراب الذي خلق منه آدم عليه السلام في المنخل ونخلوه، فما كان لبابا صافيا أخذ لطينة آدم عليه السلام، وما بقي في المنخل خلق الله تعالى منه النخلة، وبه سميت لأنها خلقت من تراب بدن آدم عليه السلام.

ويروي آخر أن شجرة التمر مأخوذة من نخل ونخيل ونخلات، يذكر ويؤنث، وقيل إنه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل.

كان آدم عليه السلام يأنس بالنخلة في الجنة، ولما هبط إلى الأرض استوحش بمفارقتها، وطلب من الله سبحانه أن ينزل له النخلة فأنزلها وغرسها في الأرض، ولما قربت وفاته أوصى إلى ولده أن يضع معه في قبره جريدة منها، فصارت سنة إلى زمان عيسى عليه السلام، ثم انقرضت وزالت من الزمان فأحياها النبي ﷺ، وقال: "إنها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء".

صفوان الذي اعتدنا على أسئلته الكثيرة قال:

- لماذا ذكر النخل دون التمر يا شيخ؟

- "أحسنت يا صفوان. من حكم القرآن الكريم البلاغية أنه ذكر الثمار من العنب والزيتون والرمان والنبات والزرع دون ذكر التمر، بل أتى بذكر النخل في جميعها، لأن أشجار الكرم والزيتون والرمان وغيرها لا نفع فيها إلا ثمارها فإنها في حالة تشذيبها وقلعها لا تصلح إلا للحرق والإهمال، بعكس النخلة، فإن كل جزء من أجزائها يصلح لكثير من الصناعات، فنواها يستعمل علفا للحيوانات والوقود وخوصها الطري يتخذ لعمل الحصران وخصاف التمر والزنابيل والمراوح اليدوية، وأما سعفها مع جريدها فمن فوائده تسقيف بيوت الأرياف، وكربها للوقود ولتعلم السباحة، لأنه يقي من الغرق، وأما جذعها فلعمل السقوف والقناطر والأعمدة وغير ذلك، وخلاصة القول يا أحبائي أن فوائد النخل تقرب من ٣٦٠ فائدة".

(١٧) الحيوان

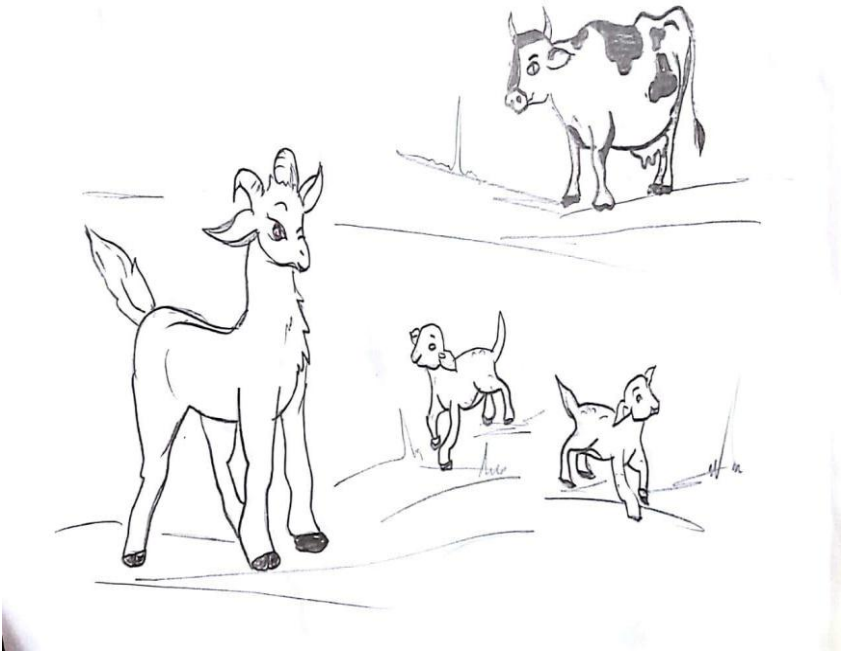

جلسنا كالمعتاد داخل قاعة الدروس، والفتية والأطفال يتبادلون الحديث فيما بينهم بهمس. وكلنا ننتظر ماذا سيحكي لنا الشيخ وسيم اليوم إلى أن دخل علينا وجلس وقال:

- "سأحكي لكم اليوم عن الحيوان.

يقرر القرآن الكريم حقائق عن الحيوان لا تقل في الأهمية والدقة عن الحقائق التي يقررها في كل جانب من جوانب الكون والحياة، فهو يلفت النظر تارة إلى المنافع التي يحصل عليها الإنسان من تسخير هذه الدواب ركوبا وحملا ولباسا وطعاما وشرابا وزينة، فهي المسخرة للإنسان مذللة له منقاده. إن ظاهرة انقياد الحيوان للإنسان ظاهرة تستدعي شكر المنعم الذي جعل فيها هذه الطبائع، ولولا وجودها فيها لما استطاع الإنسان التغلب عليها لأن الإنسان يعقل ويفكر ويخطط ويسعى في سبيل تحصيل معيشته وكسبه، أما الحيوان فليست عنده القدرة على التفكير والتخطيط، وليس من طبعه ذلك إلا أنواعًا قليلة منها يجدها علماء الحيوان في الطبقة الراقية من الحيوان كالنمل والنحل، فالحيوان مرزوق في كل مكان في أعماق البحار والمحيطات، وفي الصحراء المحرقة والأصقاع المتجمدة، تحت الصخور الصماء وفي أجواء الفضاء، كل ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨."

صفوان الذي اعتاده الجميع بأنه يكثر من الاسئلة سأل قائلا:

- ما المقصود بالأنعام يا شيخ؟

- "الأنعام المتعارف عليها في الجزيرة كانت هي الإبل والبقر والضأن والمعز، أما الخيل والبغال والحمير فللركوب والزينة، والقرآن الكريم إذ يعرض هذه النعمة هنا ينبه إلى ما فيها من تلبية لضرورات البشر وتلبية لأشواقهم كذلك، ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما إليها، ومنها تأكلون لحما ولبنا وسمنا، وفي حمل الأثقال إلى البلد البعيد الذي لم نكن لنبلغه إلا بشق الأنفس، وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء وعند السرح في الصباح جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة رائعة صحيحة سمينة. كان الإنسان يسافر ويحمل أثقاله على الإبل، ومنها يشرب ويأكل، ومن أوبارها وجلودها يلبس ويغزل، ولها خصائص مهمة، هي على قوتها وضخامتها يقودها الصغير فتقاد، وهي على عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف، كلفتها ضئيلة وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح

وسوء الأحوال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ الغاشية: ١٧."

كلامك ذو مغزى كبير عن عظمة الخالق تبارك وتعالى. الخيول أهميتها لا تقل عن الإبل.

- "نعم. لأن الخيول من الحيوانات التي تتمتع بدرجة عالية من الجمال، فجمالها يفوق جمال غيرها من الحيوانات في الشكل واللون والحركة، وهذه حقيقة ثابتة لا أظن أحدا من الناس يغفلها، فضلا عن أن ينكرها، وقد زينها الله للناس وحببها إليهم جميعا وذكر القرآن الكريم جمال البغال والحمير والخيل، فقال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل: ٨".

(١٨) المهندس المعماري

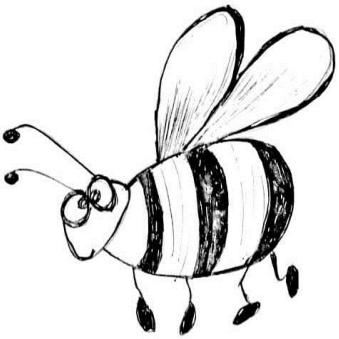

أصبح الشيخ وسيم موضع إعجاب المصلين وآباء الفتية والأطفال وبعد الانتهاء من صلاة العصر التفوا حول الشيخ وسيم وأمطروه بالشكر، فقال أبي له:

- بارك الله فيك يا شيخ وسيم، لأنك تعطي الفتية والأطفال دروسا.

قال آخر والفرحة تملؤ قلبه:

- نحن سعداء بما تقوم به لأولادنا يا شيخ.

برقت عينا الشيخ فرحا وقال لمن حوله:

- لقد سرني كلامكم كثيرا.. علام تشكروني يا إخوان؟ فهذا من واجبي أن أحكي لهم معجزات الخالق تبارك وتعالى في أوقات فراغهم. انصرف الآباء كل إلى بيته، شعر الشيخ وسيم في نفسه بالسعادة على هذا التقدير والاحترام من قبل الآباء.

دخل الشيخ وسيم علينا تملؤ الفرحة قلبه وقال لنا:

- "حكايتنا اليوم عن حيوان صغير تخافون لسعته لكنه يصنع لنا مادة فيها غذاءٌ وشفاء إنها النحلة أو النحل، فلقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز النحل كما سمى الله سورة كاملة باسم سورة النحل، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباهنا إلى عظمة هذا المخلوق الصغير الذي تتجلى فيه قدرة الله تعالى في قوله:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل: ٦٨ - ٦٩.

من هذه الآيات إلهام الخالق سبحانه وتعالى للنحل اتخاذها من الشكل السداسي أساسا لبناء مسكنها من مادة الشمع التي تنتجها، وهذا الشكل يستخدم كمخادع لتربية الحفنة الصغيرة، أو مستودعات لتخزين العسل أو حبوب اللقاح، فبالإضافة إلى أن هذا الشكل الهندسي [السداسي] مهيأ تماما لأداء الوظائف السابقة، فإن الشكل السداسي للعين يتطلب أقل كمية من المادة البنائية [الشمع] كما أن الشكل السداسي هو خير الأشكال الهندسية التي لا ينتج عنها فراغات بينية، وأن عدد العيون منها في مساحة معينة يفوق عدد الأشكال الأخرى في نفس المساحة، وذلك لأن الشكل المسدس هو الشكل الوحيد الذي جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يحدث بينها فرج، ونجد أن نحلة العسل حينما تملؤ العين السداسية بالعسل فإنها تغطيها بغطاء من الشمع الخالص حتى لا يمتص العسل رطوبة أو أية روائح، ومما يثير الدهشة أيضا أن النحل عند بنائه الأقراص فإنه يترك بينها مسافة مقدار [١٦,٥] من البوصة

يطلق عليها المسافة النحلية، فلا تبقى أية زاوية مهملة، ولا يختلف أي نوع من أنواع العسل في ذلك، فمن الذي علم النحل أصول هذا الفن من الهندسة والعمارة؟

كله بقدرة الخالق تبارك تعالى.

وهناك صنف من النحل يجهز للملكة طعاما خاصا، ومهمة الملكة هي الإنجاب ليس إلا، بعد أن تضع بيوضها تموت لتختار ملكة جديدة من بين الجيل القادم، وتقتل كل الأصناف الشبيهة بالملكة المختارة حتى لا تنازع الملكة سلطتها، وهناك على باب الخلية حرس يفتشون العاملات بدقة متناهية، فالتي تقع على نجاسة أو شيء خبيث الرائحة يكون جزاؤها القتل أو الطرد والمنع من دخول الخلية، فمملكة النحل تتكون من ثلاث فئات:[الإناث العاملات، الأنثى الملكة، والذكور].

هل تعلمون يا أولاد أن للنحلة مائة ألف خلية عقلية وأنها تطير حوالي خمسة كيلومترات يوميا، تسمع مثل الإنسان وتحارب بصورة جماعية منظمة وتتخذ قرارات تتعلق بالحرب أو العمل، فلديها ٢١ وظيفة تقوم بها".

(١٩) صغيرة لكنها ذكية

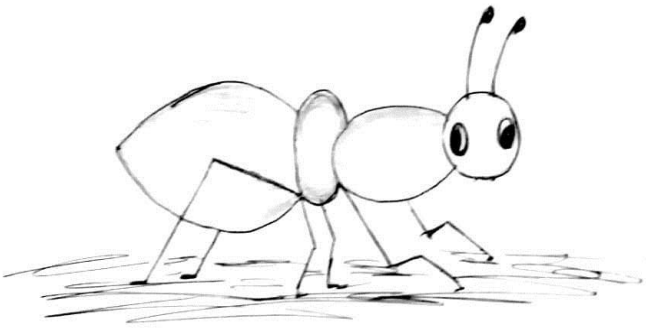

بعد أن عرفنا الكثير عن المخلوقات الصغيرة وأفعالها الكبيرة كالنحلة، طلبنا من الشيخ وسيم أن يحدثنا عن النملة؟

هز رأسه بالإيجاب حينما راح يحكي لنا عنها:

- "لقد أشار القرآن الكريم إلى أن النمل من المخلوقات الاجتماعية، تعيش متعاونة متكاتفة في مستعمراتها ويشعر كل فرد بشعور الآخرين، ويظهر ذلك في سلوك النملة وفي إنذار قومها، ويعيش النمل ضمن مستعمرات يقوم ببنائها، وقد يتجاوز فتكون أعدادًا كبيرة من المستعمرات أو واديا للنمل، وتشتمل كل مستعمرة من مستعمرات النمل على الطبقات والمرافق التالية:

[مكان الحراسة لمنع دخول الغريب، أول طبقة لراحة العاملات في الصيف، مخزن ادخار الأقوات، مكان تناول الطعام، ثكنة الجنود، الغرف الملوكية حيث تبيض ملكة النمل، إسطبل لبقر النمل وعلفه، إسطبل آخر لحلب البقر]".

صاح أحدنا باندهاش شديد:

- ماذا؟! نملة بقرة؟! وحليب؟! إن عقلي لا يستوعب ما قلته لنا يا شيخنا.

ابتسم الشيخ وأخذ يقهقه وأردف قائلا:

- "أحد علماء التاريخ الطبيعي الذي ظل يدرس مدينة النمل حوالي عشرين عاما وجد نظاما لا يمكن أن نراه في مدن البشر، وراقبه وهو يرعى أبقاره، وما هذه الأبقار إلا خنافس صغيرة رباها النمل في جوف الأرض زمنا طويلا، وإذا كان الإنسان قد سخر عددا محدودا من الحيوانات لمنافعه، فإن النمل قد سخر مئات من الأجناس من حيوانات أدنى منه جنسا".

وبعد أن انتهى الشيخ من الإجابة على سؤال أحدنا أكمل كلامه قائلا:

- "بقية طبقات مستعمرة النمل [مكان تفقيس البيض، مكان تربية صغار النمل، مشتى النمل، وفي يمينه جبانة لدفن من يموت، مشتى الملكة] ويمكن أن تصل أعماق مملكة النمل إلى خمسة وسبعة أمتار، وتنشئ النملات فيها مئات الغرف والأنفاق يحفرن وينقلن قرابة أربعين طنا من التراب إلى الخارج.

إن الهندسة المعمارية للملكة وحدها معجزة من معجزات الخلق. ثبت علميا أن النملة الأنثى العقيمة هي التي تقوم بأعباء المملكة من جمع الطعام ورعاية الصغار والدفاع عن المملكة، وتخرج من الخلية للعمل، أما النمل الذكر فلا يظهر إلا في فترة التلقيح، ولا دور له إلا في تلقيح الملكات. للنمل لغات تفاهم خاصة بينها، وذلك تقنية التخاطب من خلال الشفرات

الكيماوية!".

لم أتمالك نفسي من الدهشة وقلت:

- ماذا تقصد بالشفرات الكيمياوية؟

- "الخطاب الذي وجهته النملة إلى قومها هو عبارة عن شفرة كيماوية، فقد أثبتت أحدث الدراسات العلمية أن لكل نوع من أنواع الحيوانات رائحة خاصة به، وداخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل بمثابة بطاقة شخصية أو جواز سفر للتعريف بشخصية كل حيوان، أو أفراد العائلات المختلفة أو أفراد المستعمرات المختلفة، والنمل يتميز برائحة خاصة تدل على العش الذي ينتمي إليه، والوظيفة التي تؤديها كل نملة في هذا العش، والرائحة تعد لغة خفية أو رسالة صامتة تتكون مفرداتها من مواد كيماوية، وإذا دخلت نملة غريبة مستعمرة لا تنتمي إليها، فإن النمل في هذه المستعمرة يتعرف عليها عن طريق رائحتها ويعدها عدوا، ثم يبدأ في الهجوم عليها. لقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علمية وهي ذكاء النمل وقدرته على المحاكمة العقلية والفكرية ومواجهة الأخطار!".

ازددت دهشة وهتفت مبتهلا شاكرا:

-الحمد لله.. ما شاء الله! اعذرني يا شيخ قرأت مرة في إحدى قصص الأنبياء عن النملة ونبينا سليمان عليه السلام، لكنني لم أفهم القصة التي دارت بين النملة وجيش نبي الله.

- "القصة التي حدثت مع نبي الله سليمان أفضل الصلاة والتسليم عليه، أنه سار موكب نبينا سليمان من الجن والإنس والطير في ترتيب ونظام يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه، حتى إذا أتوا على واد كثير النمل أضافه التعبير القرآني إلى النمل فسماه [وادي النمل] قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي. ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف وتؤدى كلها بنظام عجيب يعجز البشر غالبا على اتباع مثله على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عالٍ، قالت النملة للنمل بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل وباللغة المتعارفة بينها، قالت للنمل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ النمل: ١٨ .

الحقيقة أن النملة في هذه الآيات القصيرة أدت وظائف عديدة [حق تجاه ربها ﷻ وتجاه النبي سليمان وتجاه نفسها وقومها]، لقد علمت النملة أن هذا القادم هو سليمان، وهو شخصية معروفة للنمل، حيث ذكرت اسمه تحديدا، ولم تقل هذا رجل قادم، وعلمت أن معه جنودا ولهم وظائف وصفات، وأن سليمان هو رئيسهم وقائدهم، فتوقعت أن يقوموا

بتحطيم النمل في أثناء سيرهم وبأنهم إن فعلوا ذلك فإنما سيكون فعلهم بغير قصد، ثم قامت بتوصيل مفهومها للموقف وتعليقها عليه في شكل أمر بسرعة التحرك لتجنب الكارثة، وشرحت النملة إلى مجتمعها من النمل سبب الأمر بسرعة التحرك حتى تسوّغ لهم سبب أمرها بدخول مساكنهم، علمت النملة ما يشعر به سليمان وجنوده وما لا يشعرون به، وأنهم لن يشعروا بأنهم قادمون لتحطيم النمل، أبلغت النملة مجتمعها بذلك تبرئة لسليمان وجنوده من تهمة قصد القتل بدون سبب حتى لا ينفعل النمل ضدهم، وربما تطوع بعضه للدفاع أو الانتقام، فهاجم سليمان وجنوده. وهكذا استطاعت الصغيرة الذكية تحديد مكان سليمان والطريق الذي سوف يمر به، وهذا لم يكن ليتم لولا هذه القدرات الخارقة التي يتمتع بها النمل".

صفوان الذي كان اليوم هادئا يصغي لسماع حديث الشيخ وعلى حين غرة قال:

- هل من حكاية ثانية عن الصغيرة ولكنها ذكية؟

- "أجل يا صفوان. اسمعوا يا أولاد هذه الحكاية التي سأختم بها حكايتنا لهذا اليوم، تمتاز النملة بأنها من أكثر الكائنات الحية حرصا وتدبيرا، فهي تجمع في الصيف ما تحتاجه في الشتاء، وقد روي أن سليمان

الحكيم سأل نملة ذات يوم:

- كم تأكلين في السنة؟

فقالت له:

- ثلاث حبات من القمح.

فوضع النملة في علبة ووضع معها ثلاث حبات من القمح، ولما مرت سنة على وضعها في العلبة، وجدها قد أكلت حبة ونصفًا فقط. ولما سألها عن سبب ذلك، قالت له النملة:

- عندما كنت حرة أعلم أن الله لن ينساني، ولما وضعتني أنت في العلبة، خشيت أن تنساني، فوفرت من طعامي ما يكفيني للسنة القادمة. وفي ختام هذه الحكاية ماذا نفهم أو نتعلم منها يا أولاد؟".

قال أحدنا:

- قدرة الله تبارك وتعالى في خلقه.

قال آخر:

- فعلا كما أسميتها يا شيخ، صغيرة لكنها ذكية.

أما أنا فقلت:

- نتعلم من قصة النمل معنى الصبر والعمل.

ابتهج الشيخ وسيم بإجابتي الصحيحة وقال:

- بارك الله فيك يا يونس، إنك فتى ذكي، وعلى ما يبدو أن قراءتك للقصص والكتب قد أفدت منها، لذا يا أحبائي أريد منكم في العطلة الصيفية أن تبحثوا عن صديق يحكي لكم تاريخ بلادكم أو صديقا آخر يكشف لك علوما تقدم بها الآخرون، إنه الكتاب، كما أريد منكم أن تتبادلوا مع أصدقائكم الكتب الجميلة كما تتبادل الأشجار العصافير.

(٣٠) الطير

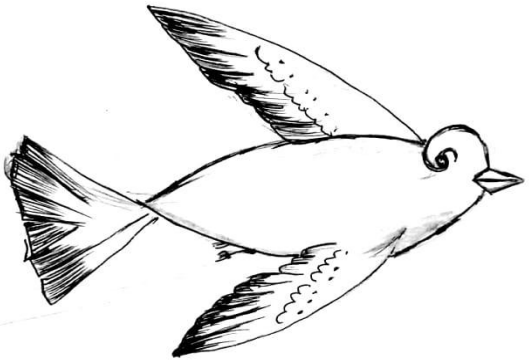

لم تكن دروس الشيخ وسيم شاغلي الأول، بل كانت هي الحافز للبحث في القنوات الفضائية عن البرامج التي تحفز الفكر بكل ما هو جديد في العالم الذي نعيشه، لأنني كنت بين الحين والآخر ألعب الكرة مع صديقيَّ شكيب وصباح، بالمحصلة كان أدائي ومستواي التعليمي يزداد تفوقا يوما بعد يوم. جلس الكل ينظر إلى الشيخ وسيم ونحن نسمع حبات سبحته تتصادم مع بعضها وقد أخذ يحدثنا عن حكاية اليوم وابتدأ بالقول:

- الطير أمة من الأمم خلقها الله تعالى، وجعلها برهانا على عظمته وقدرته، لقد أشار القرآن الكريم إلى الأنظمة التي خلقها تعالى للطير وبها يستطيع الطيران في الجو وذلك في قوله:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ النحل: ٧٩.

تشير إلى قدرة الله البديعة الأنظمة التي خلقها الله في جسم الطائر وفي التيارات الهوائية التي تمكن الطائر من الطيران، ولكي يستطيع الطائر أن يطير ويحلق في الهواء عليه أن يحقق عنصرين هامين هما: خفة الوزن والعمل على زيادة قوته واندفاعه، بالإضافة إلى وجود جناحين يدعمانه ويرفعانه في الهواء. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ النور: ٤١.

هذه صورة الإيمان والهدى والنور في الكون الفسيح، صورة يتمثل فيه الوجود كله، بمن فيه وما فيه، شاخصا يسبح الله.

قلت للشيخ:

- الطيور هي هبة الله لنا، نربيها كهواية، أو باب في البيع والشراء، أو نأكلها!

هل هناك فوائد أخرى غير تلك التي ذكرتها يا شيخ؟

- لو عرفنا ما للطيور من فائدة لأوليناها أكبر عناية، ولما أسرفنا في مطاردتها وصيدها، فلولا الطيور لانتشرت في حياة الإنسان جيوش لا حصر لها من الحشرات والديدان، ولهجمت هذه الجيوش على البيئة فأتلفت كل ما فيها من المزروعات والأشجار المثمرة، ولعل أحدكم أبصر طيرا أو غرابا وهو يسير بين خطوط الأرض المهيأة للزرع يبحث عن دودة تلتهم بذرة قبل أن تنبت وتأكلها قبل أن تنمو، هل تعلمون أن الطيور تطعم صغارها ٥٠ مرة في الساعة الواحدة، تقدم لها في كل وجبة ما يزيد على ١٠٠٠حشرة؟! فتصوروا يا أحبتي ما تكون عليه الدنيا لو خلت من هذه الطيور التي تقضي على كل هذه الأعداد جميعا.

ابتدأ الآخرون في طرح أسئلتهم على الشيخ، فكان أول المتسائلين:

- أين تكمن قدرة الخالق في مقدرة الطير على التحليق عاليا ولمسافات بعيدة؟

- تشير إلى ذلك الأنظمة التي خلقها الله في جسم الطائر وفي التيارات الهوائية التي تمكن الطائر من الطيران، ولكي يستطيع الطائر أن يطير ويحلق في الهواء عليه أن يحقق عنصرين هامين هما: خفة الوزن والعمل على زيادة قوته واندفاعه، بالإضافة إلى وجود جناحين يدعمانه ويرفعانه في الهواء.

أما المتسائل الثاني فقد قال:

- إن نبينا سليمان عليه السلام يفهم أصوات كل الحيوانات الدارجة على الأرض، هل كان يفهم أصوات الطيور أيضا؟

- قد علَّم الله تعالى سليمان عليه السلام فهم أصوات الطير ولغاتها التي تسبح بها وتصلي في قوله تعالى:

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: ١٦

صوته، وقد يقع لما يفهم بغير كلام، وبهذه اللغة تتفاهم الطيور مع بعضها، وقد عكف العلماء على دراسة الطير وطباعه ولغته فوجدوا أنه بواسطة اللغة هذه يتفاهم الذكر مع الأنثى وأن بعضها يحذر بعضا كما تفعل العصافير بالزقزقة، ولاحظوا أن الطيور تغرد في فترات الصباح أكثر من فترة الظهيرة فتطرب الآذان وتسلي النفوس.

(٢١) الحشرات

لم تبق سوى أيام قلائل على بدء الامتحانات النهائية لذا يجب علي ألا أفوت أي فرصة وأستغل أوقات فراغي في مراجعة دروسي وخصوصا في وقت المساء عندما أجلس وحدي في غرفتي، أخذت ورقة وقلما ورحت أدون جدولا لمراجعة الدروس وعلقته على حائط الغرفة.

عصرا كالمعتاد وبعد الانتهاء من الصلاة جلسنا في قاعة الدروس ننتظر دخول الشيخ وسيم ليحكي لنا حكاية، والذي ابتدأ القول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١.

من هذه الآية الكريمة حتما تعرفتم عماذا ستكون حكايتنا؟

قال صباح:

- عن العنكبوت.

رد شكيب قائلا:

- الحشرات.

ابتسم الشيخ فرحا قائلا:

- "أحسنتم الإجابة. حديثنا اليوم عن الحشرات. جاء ذكر عدد من الحشرات في القرآن الكريم في مقام ذكر نعم الله على الإنسان أو في معرض ضرب الأمثال كالنحل والنمل والذباب والبعوضة، وفي قوله تعالى:

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ النحل: ٦٩

تستطيع الحشرات منافسة الإنسان في الهيمنة على الكرة الأرضية، بالإضافة إلى كثرة أنواعها وأعدادها فإنها تستطيع التكيف مع مختلف البيئات، وجميع الأغذية من نفايات وأخشاب وملابس ونباتات تعده طعاما لها، ويساعد الحشرات على البقاء صغر حجمها وهيكلها الخارجي الذي يؤمن لها المقاومة القصوى بأدنى حد. وهذا الهيكل يعزل أعضاءها الداخلية عن العالم الخارجي بالإضافة إلى الطيران الذي يتيح لها أحيانا الفرار من الأعداء، وبالرغم من كل هذه المقومات يسعى الإنسان وينجح في اصطياد الجراد والنمل والجنادب والنحل".

لا أعلم كم من الوقت مضى وصفوان صامت دون حراك أو سؤال، ففكر هنيهة وقال:

- العنكبوت أليست حشرة؟

أجابه الشيخ:

- "نعم، وهناك الذباب والجراد الذي سنأتي على ذكرهما بعد قليل. وردا على سؤال أخيكم صفوان، فإن مهمة بناء العنكبوت هي مهمة تضطلع بها إناث العناكب التي تحمل في جسدها غدد إفراز المادة الحريرية التي ينسج منها بيت العنكبوت، وإن اشتراك الذكر في بعض الأوقات يكون بالمساعدة في عمليات التشييد أو الترميم أو التوسعة، لكن العملية تبقى عملية أنثوية محضة، ومن هنا كان الإعجاز العلمي.

وما دمنا نتحدث عن الحشرات فقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٦ .

إن ضرب المثل القرآني بالبعوضة وما فوقها حجما وما هو أشد منها خطرا يؤكد خطر البعوضة في نقل العديد من الأمراض، كما يؤكد أن أنثى البعوضة وحدها دون ذكرها هي الناقلة، وهي حقائق مستحدثة على العلوم المكتسبة، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إليها.

أما الذباب فيختلس ما يأخذه من أشربة وأطعمة اختلاسا، وينتزعه انتزاعا رغم أنوف أصحابها، ولذلك عبر القرآن الكريم بالتعبير المعجز. والذبابة المنزلية تمتص الشراب بواسطة خرطومها ليصل إلى جهازها الهضمي مباشرة، فلا يمكن الاستفادة بأي حال من الأحوال، أما إذا كان

الطعام صلبا فإن الذبابة المنزلية تفرز عليه مع لعابها عددا من العصائر الهاضمة والإنزيمات التي تذيبه في الحال فتمتصه الذبابة في ثوان معدودة، وترسله إلى الدم ومن ثم فلا يمكن استنقاذه أبدا، ولذلك ختمت الآية الكريمة بقول ربنا تبارك تعالى:{ضعف الطالب والمطلوب} والطالب هنا هو المسلوب الذي سلبه الذباب شيئا من شرابه أو طعامه، والمطلوب هو الذباب السالب للشيء، وسواء كان المسلوب هو الفرد من بني الإنسان أو غيره من الحيوانات.

أما الجراد فيسير في أسراب، يصل عدده في السرب الواحد منها إلى عشرات المليارات، والجراد عار تماما إلا من رحمة ربه الذي زوده بغطاء قرني رقيق، كما أنه حين يتحرك يتحرك بقيادة صارمة في مقدمة السرب وبانضباط شديد، وفي قوله تعالى:

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ القمر:٧".

سأل أحد الفتية:

- هل تتنفس الحشرات؟

- "بالطبع جميع الكائنات الحية الموجودة على الأرض تتنفس الأوكسجين الذي تحتاج إليه، لأنه يساعدها في عملية امتصاص غذائها للحصول على الطاقة، فنجد أن الحيوانات الفقارية لها رئتان تساعدانها في الحصول على الهواء الجوي فيدخل الأوكسجين للجسم، أما الحيوانات المفصلية كالحشرات والعناكب وغيرها فليس لها رئتان، ولكنها تتنفس من خلال أنابيب داخلية تبدأ من ثقوب موجودة على الهيكل الخارجي للحشرة وهذه الحشرات تضغط على هذه الأنابيب التي تسمى (القصبات) ليدخل الهواء ويخرج من أجسامها".

(٢٢) وصية الشيخ

إن قلب الشيخ وسيم المليء بالحب والحنان والدفء الأبوي الحقيقي أوسع من الدنيا، وما فيه من طيبة شكل لا يصدق، أما كلماته فهي أحلى من العسل، لم أره غاضبا أو عابس الوجه حتى لو سئل أسئلة لا علاقة لها بالموضوع الذي يتحدث عنه، عرفه الجميع بأن قلبه كبير ودائما ما يوصي بكلامه:

- "إن أجمل القلوب يا أولاد، هي التي تعرف التسامح والمحبة.

الشهر القادم هو شهر الاستعداد للامتحانات والاختبارات النهائية للسنة الدراسية، فبعد أن قطعتم شوطا كبيرا في الدراسة والتحصيل العلمي والإلمام بالمواد الدراسية المختلفة على مدار فصلين دراسيين، أريد منكم المذاكرة والتركيز حتى تستطيعوا أن تختموا عامكم الدراسي بنجاح وتفوق. وأعتقد أن كلكم تسعون إليه بلا شك، ولمن يشعر أو يظن أن الوقت لن يسعفه أو يساعده على التحصيل والإلمام الدراسي، أقول إن هناك وقتا لا يزال للتعويض في الأيام القادمة، ربما يشعر البعض بالقلق والارتباك والخوف من الامتحان أحيانا وقد تصيبه حالات تشبه المرض فيؤثر هذا الشعور على أدائه في الامتحان وعلى مستقبله الدراسي، فالمطلوب يا أحبتي هو عدم الاستسلام لهذا الشعور أبدا لأنكم وعدتموني بالاجتهاد والاهتمام بدروسكم وحفظ ما يجب حفظه حتى تنالوا النجاح والتفوق. لذا غدا سأحكي لكم آخر الحكايات، ثم ودعنا الشيخ بمحبة وانصرفنا إلى بيوتنا لاستثمار الوقت بمراجعة دروسنا والتحضير لدروس اليوم الجديد".

(٢٣) آخر الحكايات

الكل كان ينتظر على أحر من الجمر لمعرفة آخر الحكايات التي سيحكيها لنا الشيخ وسيم، وكلٌّ راح يقول أو يخمن الحكاية التي سيحكيها لنا الشيخ اليوم، قال أحدنا:

- أظن أن الشيخ سيحكي لنا اليوم عن أمراض الإنسان!

وقال آخر:

- أو عن الطب في القرآن الكريم!

وقال ثالث:

- أو التداوي بالأعشاب!

إلى أن دخل علينا الشيخ بتحية السلام ثم جلس وهو يتفحص وجوهنا لأنه سيفارقنا منذ عصر هذا اليوم للانصراف لمتابعة دروسنا لأننا مقبلون على الامتحانات النهائية، وابتدأ بالقول:

نحن البشر على الرغم من ذكائنا الذي وهبنا إياه الله، إلا أنه يبقى فينا قدر من عفوية الحيوان، نتميز نحن البشر بأننا نبحث عما وراء الكلمة والحرف، وكأن الحياة رحلة اكتشاف للمعاني الخفية، وذلك لأننا نرسم لذواتنا نحن البشر يا أعزائي صورة تستخدم في كل جولة حياة نعيشها كل يوم وكل لحظة، الكلمة، الصوت، الحرف، وحتى الصمت، حتى نكسب المعركة. ولكن المعركة الأعظم التي تحتاج إلى أن نكسبها هي معركتنا لنصرة ذواتنا حتى ينتصر الإيمان، نعم النصر هو الابتعاد من الأخطاء، ومفتاح معركتنا الإيمان والصلاة.

استوقف صفوان الشيخ متسائلا:

- الإيمان يأتي من الصلاة؟

أجاب الشيخ قائلا:

- صحيح أنت ملحاح، ستعرف كل شيء لاحقًا، وسؤالك على قدر معرفتك بالأشياء، حسنا سأجيبك على سؤالك، عليكم أن تعرفوا بأن الصلاة هي مناجاة مفتوحة بين كل إنسان وخالقه يقوم بها وحده ويتجه إلى خالقه ومصدر حياته فيستسقي من الحياة. أما الإيمان فهو الدخول في أعماقنا ودراسة معجزة الخلق حتى نؤمن ونتواصل مع الخالق ونتيقن أن من خلق هذا الخلق المعجز لا يصعب عليه خلق الشفاء، الإيمان يثبت القلب وحين يثبت القلب يحدث التوازن، فالقلب هو الشكرة الرابعة بين شكرات ثلاثة تحته وثلاثة فوقه، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.

سألته أنا:

- الإيمان بالحياة ماذا يعني يا شيخ؟

- هو الجرأة لمواجهة خيبة الأمل، وكم من أناس لا يدخلون في المسابقات ويرفضون خوفا من الفشل أن يراهنوا على حياتهم بشيء يمكن أن يسبب لهم العظمة، إذا لم تحاول أبدا فلن تخسر أبدا، فإنك تخسر ما قد يمكنك الحصول عليه لو حاولت، وإذا فشلت قل للجميع: (على الأقل كان لدي الإيمان بالفوز) لأن الأمل والتفاؤل مهمان في الحياة وبلا هذين ليس لها طعم أو حتى معنى، فإن كان المرء شقيا في حياته وامتلك الأمل

فإنه سيعيش سعيدا، هناك الكثير من الأشياء لا تتحقق بالتمني، بل بالإيمان والإصرار معا، ليس المهم أن نصل، لكن المهم أن نحاول. فالإنسان هذا المخلوق مكون من جسم مادي وروح شفافة، جسم مشدود إلى الأرض وروح تتطلع إلى السماء، جسم له دوافعه وشهواته وروح تسمو به نحو الله، جسم له مطالب الحيوان، وروح لها أشواق الملائكة، ونفس لها طبيعة مزدوجة تحتوي على معنويات الخير والشر، لذا تعالوا نزرع الحب يا أحبائي. الحب من النعم التي أنعم الله بها، حب الله، حب الوطن، حب الوالدين، حب الناس، فمهما كانت المضايقات التي تتعرضون لها من هذا أو ذاك ومن هنا ومن هناك، ومهما حدث لكم فلا بد أن تتجاوزوها وأن تزرعوا بدلا منها الحب والتسامح في طريقكم، ولا تنسوا أن رضا الله من رضا الوالدين وأن تمدوا يد الأخوة والتسامح إلى من تعدونهم زملاءكم أو أصدقاءكم، وإن لم تستطيعوا فعل هذا في بادئ الأمر، فعليكم بالمحاولة مرة أخرى حتى تتعلموا ومن ثم تعلموا بمن لم يتعلم من إزالة الأحقاد والخطأ أو الغضب، حتى لا يبقى في قلوبكم سوى الحب والألفة مع كل من حولكم.

الشهر القادم هو شهر الاستعداد للامتحانات والاختبارات النهائية للسنة الدراسية، فبعد أن قطعتم شوطا كبيرا في الدراسة والتحصيل العلمي والإلمام بالمواد الدراسية المختلفة على مدار فصلين دراسيين، لذا أريد منكم المذاكرة والتركيز حتى تستطيعوا أن تختموا عامكم الدراسي بنجاح وتفوق! وأعتقد كلكم تسعون اليه بلا شك، ولمن يشعر أو يظن أن الوقت لن يسعفه أو يساعده على التحصيل والإلمام الدراسي، أقول أن

هناك وقتا لا يزال للتعويض في الأيام القادمة.

ومن الله التوفيق.

اللهم إنا نسألك زيادة في الدين وبركة في العمر وصحة في الجسد وسعة في الرزق، نسألك أن تقذف رجاءك في قلوب من أحبوك حتى لا يكون لهم هم ولا شغل غيرك وأن تجعل لنا من كل أمر فرجا ومخرجا إنك على كل شيء قدير.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بهذا الدعاء الكريم ودعنا الشيخ وسيم وما هي إلا أيام قلائل حتى بدأت الامتحانات النهائية وانشغل الكل يقرأ ويدرس ويراجع دروسه حتى يتهيأ للامتحانات وكلنا أمل في العطلة الصيفية أن نحظى بحلقة دراسية نسمعها من الشيخ الفاضل وسيم أطال الله في عمره حتى ينير عقول فتيان وأطفال آخرين كما نور عقلنا على مدار أيام مضت ما بين الشتاء والربيع.

تمت بحمد الله